

أعلام الهداية

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

قم المقدسة

اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج ٦) الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

المؤلف: لجنة التأليف.

الموضوع: كلام وتاريخ.

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ ق.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٧ هـ ق.

المطبعة: ليلى.

الكمية: ٥٠٠٠.

isbn: 964- 5688-22-1

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

[www.ahl-ul-bayt-org](http://www.ahl-ul-bayt-org)

أهل البيت في القرآن الكريم

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

الأحزاب: ٣٣ / ٣٣

أهل البيت في السنة النبوية

(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبد)

(الصحاح والمسانيد)

## المقدمة

الحمد لله الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيَّما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد ﷺ وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحققاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجّةً له على خلقه، وأعان به أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

(قُلْ إِنِّي هُدِيَ لِلَّهِ هُوَ الْهُدَى) (الأنعام (٦): ٧١).

(مَلَلَهُ يَهْجَا مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة (٢): ٢١٣).

(مَلَلَهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْجَا السَّبِيلَ) (الأحزاب (٣٣): ٤).

(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدِ هَكَأ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران (٣): ١٠١).

(قُلِ اللَّهُ يَهْجَا لِلْحَقِّ أَفْئَمَّنْ يَهْجَا إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّنَّ يُتَّبِعْ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا نَأْ يَهْدِي فَبَأْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس (١٠): ٣٥).

(يَرْجَى لِلدُّنْيَا وَوَالْعُلَمِ لَلِّي نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ لَدُنِّكَ وَوَالْحَبَقِّ وَيَهْجَا إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ (٣٤): ٦).

(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (القصص (٢٨): ٥٠).

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحق القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثم مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: **(وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات (٥١): ٥٦). وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصرًا وهدفًا وغاية موصلة إلى قَمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمّن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الإنسان . بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة . إلى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتتولّى مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكل مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهمليين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي . مؤيِّدةً لدلائل العقل . بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلاّ يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن . بشكل لا يقبل الريب . قائلًا: **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)** (الرعد (١٣): ٧).

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في: ١ . تلقّي الوحي بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلًا: **(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)** (الأنعام (٦): ١٢٤) و **(اللَّهُ يَجْتَبِي مَن يَرُؤُهُ مَن يَشَاءُ)** (آل عمران (٣): ١٧٩).

٢ . إبلاغ الرسالة الإلهية إلى البشرية ولمن أرسلوا إليه، ويتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثل في (الاستيعاب والإحاطة اللازمة) بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلباتها، و (العصمة) عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: (كَبَانَ النَّاسَ أُمَّةً مَّحَلَّةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمِنْهُم مَّنْ نَّزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ الْحَقَّ لِتَحْكُمَ بِهِ نَاسٌ مِمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ) (البقرة (٢): ٢١٣).

٣ . تكوين أمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمةً عنوانين التزكية والتعليم، قال تعالى: (بُرُوكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (الجمعة (٦٢): ٢) والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب (٣٣): ٢١).

٤ . صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقررة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمى بالعصمة.

٥ . العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأطروحة الرئانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسي يتولى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الرئانية للبشرية، ويتطلب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وثباتاً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة علمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاق، وتحملوا في سبيل أداء المهام الرسالية كلَّ صعب، وقدموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلَّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلکأوا طرفة عين.

وقد توجَّع الله جهودهم وجهادهم المستمر على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ وحمله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم ﷺ في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقَّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

- ١ . تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء.
  - ٢ . تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.
  - ٣ . تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة.
  - ٤ . تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبِّق شريعة السماء.
  - ٥ . تقديم الوجه المشرق للقيادة الرئانية الحكيمة المتمثلة في قيادته ﷺ .
- ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:
- أ . أن تستمرَّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يترتبون بها الدوائر.

ب . أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربِّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول ﷺ ، يستوعب الرسالة ويجسدها في كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتمُّ على الرسول ﷺ إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الرئانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نص عليه الرسول ﷺ بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام تمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحاربية تتضاءل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ الأئمة المعصومون عليهم السلام يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة ولحركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة والأمة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصايح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير.

ولا يستطيع المؤرخون والكتاب أن يلموا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإن محاولتنا هذه إنما هي إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دونها المؤرخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنه ولي التوفيق.

إن دراستنا لحركة أهل البيت عليهم السلام الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وتنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وهو المعصوم السادس من أعلام الهداية والرابع من الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي جسّد الإسلام المحمّدي بكل أبعاده في حياته الفردية والاجتماعية في ظروف اجتماعية وسياسية عصبية فحقق القيم الإسلامية المثلى في الفكر والعقيدة والخلق والسلوك وكان نبراساً يشعّ إيماناً وطهراً وبهاءً للعالمين.

ولا بدّ لنا من تقديم الشكر إلى كل الإخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سيّما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

قم المقدسة

## الباب الأول: فيه فصول:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين عليه السلام في سطور.

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصية الإمام عليه السلام.

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية الإمام عليه السلام.

### الفصل الأوّ: الإمام زين العابدين عليه السلام في سطور

\* هو الإمام علي بن الحسين عليهما السلام رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وجدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأوّل من أسلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صح في الحديث عنه<sup>(١)</sup>.

وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها.

\* وأبوه الإمام الحسين عليه السلام أحد سيّدَي شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّه صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين منّي وأنا من حسين)، وهو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

\* وهو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، إذ قال: (الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش)<sup>(٢)</sup>.

\* وقد ولد الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين.

(١) صحيح مسلم: ١٢١ / ٧ .

(٢) إثبات الهداة: ٢ / ٣٢٠ حديث ١١٦ .

\* وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام ، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وارتوى من نغير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين.

\* برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعِيّته.

\* كان للمسلمين عموماً تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كل مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حج هشام بن عبد الملك<sup>(١)</sup>.

\* لم تكن ثقة الأمة بالإمام زين العابدين عليه السلام . على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها . مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لأبائه الطاهرين.

ومن هنا نجد أن عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحل مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبان تهديد الملك الروماني

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١٢٩ . ١٣٢ ح ٢٠٧ ، والجاحظ في البيان والتبيين: ٢٨٦/١ ، الأغاني: ٧٥/١٤ و ٤٠/١٩ ، وابن خلّكان في وفيات الأعيان : ٣٣٨/٢ ط إيران.

له بإذلال المسلمين<sup>(١)</sup>.

\* وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه عليه السلام فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الأمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقيصرة، وضمتّ شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذٍ خلال نصف قرن.

\* تعرضت الأمة الإسلامية في عصر هذا الإمام عليه السلام لخطر كبيرين:

الخطر الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذي قد ينتهي بالأمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابد من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنة. وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الإسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأخذ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آباءه الطاهرين.

وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد مهمّ من فقهاء المسلمين،

---

(١) انظر: دراسات وبحوث للعالمي : ١٢٧/١ - ١٣٧ .

وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

\* الخطر الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسحاق مع ملذات الحياة الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية.

وقد اتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزها من داخلها هزاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها. ومن هنا كانت (الصحيفة السجادية) تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه حاجة كلما ازداد الشيطان للإنسانية إغراء والدنيا فتنة له<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله في مقدمته للصحيفة السجادية.

## الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام زين العابدين عليه السلام

اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنّه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبحرهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم<sup>(١)</sup>، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنّما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم وأبجاسهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

أقوال وآراء معاصريه فيه عليه السلام :

عبر المعاصرون للإمام عليه السلام من العلماء والفقهاء والمؤرخين بانطباعاتهم عن شخصيّته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء في ذلك من أخلص له في الودّ أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي نبذة من كلماتهم:

١. قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: ما روي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين

عليه السلام...<sup>(٢)</sup>.

---

(١) العقد الفريد: ٢ / ٢٥١.

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، دراسة وتحليل: ١ / ١٢٦.

٢. كان عبد الله بن عباس على تقدّمه في السن يجلب الإمام عليّاً وينحني خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوته قائلاً: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب<sup>(١)</sup>.

٣. وُصِفَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمٍ الْقُرَشِيُّ الزَّهْرِيُّ بِالْفَقِيهِ، وَأَحَدِ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ وَعَالِمِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ<sup>(٢)</sup> وَقَدْ كَانَ عَلَى خِطِّ غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَكِنَّهُ أَدْلَى بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْقَيِّمَةِ أَعْرَبَ فِيهَا عَمَّا يَتَّصِفُ بِهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْقِيَمِ الْكَرِيمَةِ وَالْمِثْلِ الْعَظِيمَةِ، وَهَذِهِ بَعْضُ كَلِمَاتِهِ:

أ. ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين...<sup>(٣)</sup>.

ب. لم أدرك في أهل البيت رجلاً كان أفضل من علي بن الحسين<sup>(٤)</sup>.

ج. ما رأيت أحداً أفقه منه<sup>(٥)</sup>.

٤. سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين في يثرب، وقال عنه الرواة: إنّه ليس من التابعين من هو أوسع منه علماً<sup>(٦)</sup>، وقد صحب الإمام عليّاً ووقف على ورعه، وشدّة تحرّجه في الدين، وقد سجّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ. ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليّاً وما رأيت قط إلا مَقَّتْ نفسى...<sup>(٧)</sup>.

ب. ما رأيت أروع منه...<sup>(٨)</sup>.

ج. كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتى من قريش، فطلع الإمام عليّاً فسأل

(١) تاريخ دمشق: ٣٦ / ١٤٧، وتذكرة الخواص: ٣٢٤.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩ / ٤٤٥.

(٣) الأغاني: ١٥ / ٣٢٥.

(٤) و٥) شذرات الذهب: ١ / ١٠٥.

(٦) تهذيب التهذيب: ٤ / ٨٥.

(٧) تاريخ يعقوبي: ٣ / ٤٦.

(٨) العبر في خبر من غير: ١ / ١١١.

القرشي سعيداً عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين<sup>(١)</sup>.

٥ . زيد بن أسلم : وكان في طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسّري القرآن<sup>(٢)</sup>، وقد أدلى بعدة كلمات بشأن الإمام عليّ منها:

أ . ما جالست في أهل القبلة مثله<sup>(٣)</sup>.

ب . ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم (أي : في أهل البيت)<sup>(٤)</sup>.

ج . ما رأيت مثل علي بن الحسين فهما حافظا<sup>(٥)</sup>.

٦ . حماد بن زيد : وهو من أبرز فقهاء البصرة، أُعتبر من أئمّة المسلمين<sup>(٦)</sup>، قال فيه: كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته<sup>(٧)</sup>.

٧ . يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء<sup>(٨)</sup>، وقد قال: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيت<sup>(٩)</sup>.

٨ . لقد تعلىّ الاعتراف بالفضل للإمام عليّ إلى أعدائه ومبغضيه، فهذا يزيد بن معاوية وبعد أن ألع عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام عليّ أبدى مخاوفه منه قائلاً: إنّه من أهل بيت زُقوا العلم زُقا، إنّه لا ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان...<sup>(١٠)</sup>

(١) الفصول المهمة : ١٨٩ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٣ / ٣٩٥ .

(٣) و (٤) حياة الإمام زين العابدين: ١٢٩/١ عن تأريخ دمشق : ١٢ / ١٢ / ق / الورقة ١٩ .

(٥) طبقات الفقهاء : ٢ / ٣٤ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٣ / ٩ .

(٧) تهذيب اللغات والأسماء، القسم الأول : ٣٤٣ .

(٨) حياة الإمام زين العابدين (دراسة وتحليل) : ١ / ١٣٠ عن تهذيب التهذيب .

(٩) المصدر السابق عن تهذيب الكمال م٧ / ق٢ / الورقة ٣٣٦ .

(١٠) نفس المهموم : ٤٤٨ - ٤٥٢ ط قم عن مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٨١ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي: الخطبة بدون

المقدمة، والمقدمة عن الكامل للبهائي : ٢ / ٢٩٩ - ٣٠٢ وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: ١ / ١٧٥ .

٩ . عبد الملك بن مروان : وهذا عدو آخر يقول للإمام عليّ : ... إنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وعصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك...<sup>(١)</sup>

١٠ . منصور الدوانيقي : وهذا عدو آخر أيضاً لأهل البيت عليّ قد أشاد بفضل الإمام عليّ في رسالته إلى ذي النفس الزكية بقوله: ولم يولد فيكم (أي في العلويين) بعد وفاة رسول الله ﷺ مولود مثله (أي مثل زين العابدين)<sup>(٢)</sup>.

### آراء العلماء والمؤرخين فيه عليّ :

١ . قال اليعقوبي: كان أفضل الناس وأشدهم عبادة، وكان يسمّى: زين العابدين، وكان يسمّى أيضاً: ذا الثغفات، لما كان في وجهه من أثر السجود...<sup>(٣)</sup>.

٢ . قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر: في ترجمة الإمام عليّ : كان عليّ بن الحسين ثقة مأموناً، كثير الحديث، عالياً رفيعاً...<sup>(٤)</sup>.

٣ . قال الذهبي: كانت له جلاله عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله...<sup>(٥)</sup>

٤ . قال الحافظ أبو نعيم: قال: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليّ

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ٧٥ .

(٢) الكامل للمبرد : ٢ / ٤٦٧ ، العقد الفريد : ٥ / ٣١٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٣ / ٤٦ .

(٤) تاريخ دمشق : ٣٦ / ١٤٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٤٠ .

- زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وقيماً وجواداً صفيّاً...<sup>(١)</sup>.
- ٥ . قال صفي الدين: كان زين العابدين عظيم الهدى والسمت الصالح...<sup>(٢)</sup>.
- ٦ . قال النووي: وأجمعوا على جلالته في كل شيء...<sup>(٣)</sup>.
- ٧ . قال عماد الدين إدريس القرشي: كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله ﷺ وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة<sup>(٤)</sup>.
- ٨ . قال النسابة الشهير ابن عنبة: وفضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف<sup>(٥)</sup>.
- ٩ . قال الشيخ المفيد: كان علي بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً، وقال: قد روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء...<sup>(٦)</sup>.
- ١٠ . وقال ابن تيمية: أمّا علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً ودينياً... وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف<sup>(٧)</sup>.
- ١١ . قال الشيخاني القادري: سيّدنا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة

(١) حلية الأولياء: ٣ / ١٣٣.

(٢) وسيلة المال في عد مناقب الآل: ٢٨٠.

(٣) عن تهذيب اللغات والأسماء: ١ / ٣٤٣.

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار: ١٤٤.

(٥) عمدة الطالب: ١٩٣.

(٦) الإرشاد: ٢ / ١٣٨ و ١٥٣.

(٧) منهاج السنّة: ٢ / ١٢٣.

وثبت بالآثار المتواترة...<sup>(١)</sup>.

١٢ . قال محمد بن طلحة القرشي الشافعي: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيّد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله ﷺ وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثفنته تسجّل له كثرة صلواته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاق التقوى فتفوّقها، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أوراد العبادة فأنس بصحبته، وحالفته وظايف الطاعة فتحلّى بجليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مسافة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة...<sup>(٢)</sup>.

١٣ . قال الإمام الشافعي: إن علي بن الحسين أفضه أهل المدينة<sup>(٣)</sup>.

١٤ . قال الجاحظ: وأما علي بن الحسين فلم أرَ الخارجي في أمره إلا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلا كالعامي، ولم أرَ العامي إلا كالخاصي، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ويشك في تقديمه...<sup>(٤)</sup>.

١٥ . قال سبط ابن الجوزي: وهو أبو الأئمة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزین العابدين وسمّاه رسول الله ﷺ سيد العابدين... والسجّاد؛ وذي الثفنات، والزكي والأمين، والثفنات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استنخ وغلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثر في ثفنته<sup>(٥)</sup>.

(١) الصراط السوي الورقة ١٩.

(٢) مطالب السؤل: ٢ / ٤١.

(٣) رسائل الجاحظ: ١٠٦.

(٤) عمدة الطالب: ١٩٣ - ١٩٤.

(٥) تذكرة الخواص: ٣٢٤.

## الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الإمام زين العابدين عليه السلام

### الحلم :

كان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأكظمهم للغيظ، فمن صور حلمه التي رواها المؤرّحون :

١ . كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إن الله عزّ وجلّ يقول: (والكاظمين الغيظ) وأسرع الإمام قائلاً : (كظمت غيظي)، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: (والعافين عن الناس) فقال الإمام عليه السلام : (عفا الله عنك)، ثمّ قالت: (للهُ نُبُ الْمُحْسِنِينَ) فقال عليه السلام لها: (إذهبي فأنت حرة)<sup>(١)</sup>.

٢ . سبّه لئيم فأشاح عليه بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إياك أعني ... وأسرع الإمام قائلاً: (وعنك أغضي ...) وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل<sup>(٢)</sup>.

٣ . ومن عظيم حلمه عليه السلام : أنّ رجلاً افتري عليه وبالغ في سبّه،

---

(١) أمالي الصدوق : ١٦٨ ح ١٢ والارشاد : ١٤٦/٢ ، ومناقب آل أبي طالب : ١٥٧/٤ ، تاريخ دمشق : ١٥٥/٣٦ وابن منظور في مختصره : ٢٤٠/١٧ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٩٧/٤ ، ونهاية الارب : ٣٢٦/٢١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ١٧١/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٥ / ٩ .

فقال عليه السلام له: (إن كُنَّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...) (١).

### السخاء :

أجمع المؤرِّحون على أنه كان من أسخى الناس وأنداهم كفاً، وأبرَّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده، منها:

١ . مرض محمد بن أسامة فعاده الإمام عليه السلام ، ولما استقرَّ به المجلس أجهش محمد بالبكاء، فقال له الإمام عليه السلام : ما يبكيك؟ فقال: عليّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام عليه السلام : هي علي، ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له (٢).

٢ . ومن كرمه وسخائه أنه كان يطعم الناس إطعاماً عامّاً في كلّ يوم، وذلك في وقت الظهر في داره (٣).

٣ . وكان يعول مائة بيت في السرّ، وكان في كل بيت جماعة من الناس (٤).

### تعامله مع الفقراء :

أ . تكريمه للفقراء : كان عليه السلام يحتفي بالفقراء ويرعى عواطفهم ومشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلاً قبله، حتى لا يُرى عليه أثر الذلّ

(١) الإرشاد : ١٤٦/١ عن نسب آل أبي طالب للعبدي النسابة م ٢٧٠ هـ .

(٢) الإرشاد : ١٤٩/٢، ومناقب آل أبي طالب : ١٦٣/٤ وراجع: البداية والنهاية : ٩ / ١٠٥، وسير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٣٩ .

(٣) تأريخ البعقوبي : ٢ / ٢٥٩ ط بيروت .

(٤) مناقب آل أبي طالب: ١٦٦/٤ عن الباقر عليه السلام وعن أحمد بن حنبل، وكشف الغمة: ٢٨٩/٢ عن مطالب السؤل عن حلية الأولياء ، وفي الكشف : ٣١٢/٢، عن الجنازدي، ولكن فيه: ٣٠٤/٢ عنه أيضا عن الصادق عليه السلام قال: كان يعول سبعين بيتا .

والحاجة<sup>(١)</sup>، وكان إذا قصده سائل رَحَّب به وقال له: (مرحبا بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة)<sup>(٢)</sup>.  
 ب . عطفه على الفقراء: كان عليه السلام كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إيَّاه<sup>(٣)</sup>. وبلغ من مراعاته بجانب الفقراء والعطف عليهم أنه كره اجتذاز النخل في الليل؛ وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال عليه السلام لقهرمانه وقد جذ نخلا له من آخر الليل: (لا تفعل، ألا تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الحصاد والجذاز بالليل؟!). وكان يقول: (الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده)<sup>(٤)</sup>.

ج . نهي عن ردِّ السائل: ونهى الإمام عليه السلام عن رد السائل؛ وذلك لما له من المضاعفات السيئة التي منها زوال النعمة وفجأة النعمة.

وأكد الإمام عليه السلام على ضرورة ذلك في كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: صلَّيت مع عليّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلما فرغ من صلاته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاه له تسمي سكينه، فقال لها: (لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم جمعة)، فقال له أبو حمزة: ليس من يسأل مستحقاً، فقال عليه السلام: (أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه،

(١) حلية الأولياء: ٣ / ١٣٧، وعنه في مناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٦٧.

(٢) كشف الغمة: ٣ / ٢٨٨ عن مطالب السؤل للشافعي عن حلية الأولياء للاصفهاني.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٦٦ و ١٦٧ عن الباقر عليه السلام.

(٤) بحار الأنوار: ٤٦ / ٦٢.

ونردّه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل منه هو وعياله، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّماً مستحقّاً، له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه: أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، وهم يسمعون، قد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله، فلما ينس منهم وغشيه الليل مضى على وجهه، وبات طاوياً يشكو جوعه إلى الله، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وعندهم فضلة من طعامهم، فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت عبي ذلة استجرت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبي، وبلوأي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب أحبّ أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقربهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ، أما رحمت عبي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟! أما وعزّي لأنزلنّ بك بلوأي، ولأجعلنّك وولدك غرضاً للمصائب.

فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟

قال عليه السلام: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآله شباعاً وبات السائل الفقير طاوياً جائعاً<sup>(١)</sup>.

صدقاته:

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان عليه السلام يبحث على الصدقة؛ وذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: (ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلا استجيب له)<sup>(٢)</sup>.

ونشير إلى بعض ألوان صدقاته وجميل خصاله:

(١) علل الشرائع: ٦١/١ ب ٤٢ ح ١ ط بيروت.

(٢) وسائل الشيعة: ٦ / ٢٩٦

أ . التصدق بشيابه: كان عائلاً يلبس في الشتاء الحرّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بشمه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء<sup>(١)</sup>، وكان يقول: (إني لأستحي من ربي أن أكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه)<sup>(٢)</sup>.

ب . التصدق بما يحب: كان يتصدّق باللوز والسكر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: (لَنْ تَبَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)<sup>(٣)</sup>.

وروي أنّه كان يعجبه العنب، وكان صائماً فقدّمت له جاريتته عنقوداً من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدمته إلى الإمام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر عائلاً بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه<sup>(٤)</sup>.

ج . مقاسمة أمواله: وقاسم الإمام أمواله مرتين فأخذ قسماً له، وتصدّق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ دمشق: ٣٦ / ١٦١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤ عن حلية الأولياء: ١٣٦/٣ . ١٤٠ .

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤ .

(٤) المحاسن: ٣٦١/٢ طبعة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، وفروع الكافي: ٦ / ٣٥٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤ عن حلية الأولياء: ٣ / ١٤٠، وجمهرة الأولياء: ٢ / ٧١، وخلاصة تهذيب الكمال:

د . صدقاته في السر : وكان أحب شيء عند الإمام عليه السلام الصدقة في السر، لئلا يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ في الله تعالى، وتوثيقاً لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول: (إنها تطفي غضب الرب)<sup>(١)</sup>.

وقد اعتاد الفقراء على صلة لهم في الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب<sup>(٢)</sup>.

وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول له العلوي: إن علي بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضبي عنه، ولا يُعرفه بنفسه، ولما توفّي عليه السلام فقد الصلة، فعلم أن الذي كان يوصله هو الإمام علي بن الحسين عليه السلام فكان يأتي قبره باكياً ومعتذراً منه<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين<sup>(٤)</sup>.

وكان عليه السلام شديد التكتّم في صلّاته وهباته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلا يعرفه<sup>(٥)</sup>.

وقال الذهبي: إنّه كان كثير الصدقة في السر<sup>(٦)</sup>.

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ١٦٥/٤ عن الثمالي والثوري، وفي تذكرة الحفاظ : ١ / ٧٥ وأخبار الدول: ١١٠ ونهاية الإرب : ٢١ / ٣٢٦، وكشف الغمة : ٢٨٩/٢ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. وفي الكشف : ٣١٢/٢ عن الجنازدي عن الثوري عنه عليه السلام كان يقول: إن الصدقة تطفي غضب الرب. بدون قيد السرّ.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ١٦٦/٤ .

(٣) كشف الغمة : ٣١٩/٢ عن نثر الدرر للآبي.

(٤) حلية الأولياء وعنه في مناقب آل أبي طالب : ١٦٦/٤ وكشف الغمة : ٢٩٠/٢ عن مطالب السؤول عن الحلية: ١٣٦/٤ وفي البداية والنهاية لابن كثير : ١١٤/٩، وصفة الصفوة : ٢ / ٥٤، الإتحاف بحب الأشراف: ٤٩ والأغاني : ١٥ / ٣٢٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب : ١٦٦/٤ عن الباقر عليه السلام .

(٦) تذكرة الحفاظ : ١ / ٧٥.

وكان عليه السلام يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في حراب ويحمله على ظهره، وقد ترك أثراً عليه<sup>(١)</sup>. هـ . ابتغاؤه مرضاة الله: ولم يكن الإمام عليه السلام يبتغي في برّه وإحسانه إلى الفقراء إلا وجه الله عبزّ وجلّ والدار الآخرة، ولم تكن عطاياه وصدقاته عليه السلام مشوبة بأي غرض من أغراض الدنيا. قال الزهري: رأيت عليّ بن الحسين في ليلة باردة وهو يحمل على ظهره دقيقاً، فقلت له: يا بن رسول الله! ما هذا؟ فأجابه عليه السلام: (أريد سفراً، أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز). فقال: هذا غلامي يحمله عنك، فامتنع الإمام من إجابته، وتضرع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه، إلا أن الإمام أصرّ على ما ذهب إليه، وقال له: (ولكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسنّ ورودي على ما أردّ عليه، أسألك بحق الله لِمَا مضيت لحاجتك).

وانصرف الزهري عن الإمام، وبعد أيام التقى به، وقد ظنّ أنّه كان على جناح سفر ولم يع مراده فقال له: يا بن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثراً. فأجابه الإمام عليه السلام: (يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنّه الموت وله أستعدّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى في الخير)<sup>(٢)</sup>.

### العزّ والإباء :

ومن صفات الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام العزّة والإباء،

(١) تاريخ يعقوبي : ٣٠٣/٢ ط بيروت.

(٢) علل الشرائع: ١ / ٢٧ وعنه في بحار الأنوار : ٤٦ / ٦٥ - ٦٦.

فقد ورثها من أبيه الحسين سيّد الشهداء عليه السلام الذي تحبّ طغاة عصره قائلاً: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الدليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد)<sup>(١)</sup>.

وقد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة في شخصيّة الإمام زين العابدين عليه السلام في قوله: (ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم)<sup>(٢)</sup>.

وقال في عزة النفس: (من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا)<sup>(٣)</sup>.

ويقول المؤرخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، وكان الإمام عليه السلام بمكّة، وكان الوليد بن عبد الملك حينئذ متربّعاً على كرسي الخلافة وقد حضر موسم الحج، فقبل له: لو سألت الوليد أن يرد عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة في دنيا العز والإباء: (ويحك أفي حرم الله عبّر وجلّ أسأل غير الله عبّر وجلّ؟! إني آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي؟!)<sup>(٤)</sup>.  
ومن عبّته: أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درهما قط.<sup>(٥)</sup>

### الزهد :

لقد اشتهر في عصره عليه السلام أنّه من أزهّد الناس حتى أن الزهري حينما سئل عن أزهّد الناس قال: علي بن الحسين<sup>(٦)</sup>.

ورأى عليه السلام سائلاً يبكي فتأمّ له وراح يقول: (لو أن الدنيا كانت في كف هذا

(١) وقعة الطف: ٢٠٩ .

(٢) الكافي: ١٠٩/٢ و ١١١ والخصال: ٢٣/١ وعن الكافي في بحار الأنوار: ٤٠٦/٧١ ومعه بيان المؤلف في صفحة كاملة.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٣٥ .

(٤) بحار الأنوار: ٤٦ / ٦٤ عن علل الشرائع: ٢٧٠/١ ط بيروت.

(٥) مجالس ثعلب ٢: ٤٦٢ ، وعنه في حياة الإمام زين العابدين للقرشي: ٨١/١. وفي مناقب آل أبي طالب: ١٧٥/٤ عن نافع: شيئاً، بدل: درهما.

(٦) بحار الأنوار: ٤٦/٦٢ عن علل الشرائع: ٢٧٠/١ ط بيروت.

ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن المسيب: كان علي بن الحسين عليهما السلام يعظ الناس ويؤدبهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلِّ جمعة في مسجد رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: (أيها الناس، اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون... يا بن آدم، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حينئذ يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيداً، فردَّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عزَّ وجلَّ لم يحبَّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وأهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلا بالله، فازهدوا فيما زهدكم الله عزَّ وجلَّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تتركوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركوناً من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار بلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها... جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله...<sup>(٢)</sup>).

الإجابة إلى الله تعالى :

إن اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيد الساجدين مما يشير إلى وضوح عنصر الإنابة إلى الله والانقطاع إليه في حياة الإمام وسيرته وشخصيته.

(١) كشف الغمة : ٣١٨/٢ عن نثر الدرر للآبي، والفصول المهمة: ١٩٢.

(٢) الكافي : ٨ / ٧٦.٧٢ ، وتحف العقول: ٢٤٩ - ٢٥٢.

على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هي الدليل الآخر على هذه الحقيقة، فإنّ إلقاء نظرة سريعة وخاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى الله في شؤون حياته، فما من موقف إلاّ ولالإمام فيه دعاء وابتهاال وتضرّع، هذا فضلاً عن مضامين الأدعية التي يكاد ينفرد بها هو عليه السلام في هذه الصحيفة المعروفة وغيرها، لقد ذاب الإمام في محبة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته.

ومّا رواه المؤرخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثري فبادره الإمام قائلاً: (ما يقعدك على باب هذا المتترف الجبار؟) فقال الرجل: البؤس (أي: الفقر)، فقال له عليه السلام: (قم! فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه...)

وتخصّص معه الرجل إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلمه ما يعمله من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصنه الحريز<sup>(١)</sup>.

سيرته في بيته :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته، وكان لا يتميّز عليهم، وقد أثر عنه أنّه قال: (لئن أدخل إلى السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحما وقد قرموا<sup>(٢)</sup> أحب إليّ من أن أعتق نسمة)<sup>(٣)</sup>.

وكان يبكر في خروجه مصباحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: إلى أين

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة وتحليل: ١ / ٩٣.

(٢) قرموا: اشتد شوقهم إلى اللحم.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦ / ٦٧ عن الكافي: ١٢ / ٢.

تذهب؟ فقال: أتصدقّ لعيالي قبل أن أتصدقّ . ثم قال: من طلب الحلال، فإنّه من الله عزّ وجلّ صدقة عليهم<sup>(١)</sup>.

وكان عائشة رضي الله عنها يعين أهله في حوائجهم البيّية، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخصّ شأناً من شؤونه الخاصة، كما كان يتولّى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخصّ إلى شؤون عبادته، فإنّه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

مع أبيه :

وقابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مرّيته بكلّ ما تمكّن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بما أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبر الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تؤاكل أمك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: (أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقاً لها)<sup>(٢)</sup>.

ومن برّه لأبويه دعاؤه لهما، وهو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه رضي الله عنها :

(... واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً، واجمع لي علم ذلك كلّهُ تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووقّني للنفوذ فيما تبصرني من علمه... اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقر لعيني من رقدة

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ٦٧ عن الكافي : ١٢/٢ .

(٢) الكامل للمبرد : ١ / ٣٠٢، وشذرات الذهب : ١ / ١٠٥، ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٧٦ عن أمالي النيشابوري.

الوسنان، وأتلى لصدري من شربة الظمان، حتى أوتر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، واستكثر برهما بي وإن قل، واستقل برّي بهما وإن كثر، اللهم خفض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وألن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقاً وعليهما شقيقاً... اللهم اشكر لهما تربيتي، وأثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري... اللهم لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي إناء من آناء ليلى، وفي كل ساعة من ساعات نهاري... اللهم صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرهما بي...<sup>(١)</sup>.

مع أبنائه:

أمّا سلوك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيرة وأبجاءاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد في الإسلام.

فكان ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام أشهر أئمة المسلمين، وأكثرهم عطاءً للعلم.

وأما ولده عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله وسمو منزلته العلمية.

أمّا ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين، وقد برع في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها، وهو الذي تبى حقوق المظلومين المضطهدين، وقاد مسيرتهم الدامية في ثورته التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي، وساهمت مساهمة إيجابية وفعالة

---

(١) الصحيفة السجادية، دعاؤه لأبويه.

في الإطاحة بالحكم الأموي<sup>(١)</sup>.

وزوَّ الإمام عليّاً أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسيرون عليه، قال عليّاً:

١ - (يا بُنيّ، أنظر خمسةً فلا تصاحبهم ولا تحدثهم ولا تُرافقهم في طريق) فقال له ولده: من هم؟ قال عليّاً: (إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه. وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفحك فيضرك. وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعونا في كتاب الله...)<sup>(٢)</sup>.

٢ - قال عليّاً: (يا بُنيّ، اصبر على النائبة، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرتّه عليك أعظم من منفعتك لك...)<sup>(٣)</sup>.

٣ - وقال عليّاً: (يا بُنيّ، إنّ الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحدّرني منك، واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له)<sup>(٤)</sup>.

(١) حياة الإمام زين العابدين عليّاً، دراسة وتحليل: ٥٦.٥٥.

(٢) أصول الكافي: ٣٧٦/٢، والاختصاص: ٢٣٩، وتحف العقول: ٢٧٩، والبداية والنهاية: ٩ / ١٠٥.

(٣) البيان والتبيين: ٢ / ٧٦، العقد الفريد: ٣ / ٨٨.

(٤) العقد الفريد: ٣ / ٨٩.

## مع مماليكه :

وسار الإمام عليّ مع مماليكه سيرة تتسم بالرفق والعطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمةً ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً<sup>(١)</sup>.

وقد كان له مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه، وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف: (يا بُنيّ، أما سمعت صوتي؟) قال: بلى... ، فقال له عليّ: (لم لم تُجِبني؟) فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول: (الحمد لله الذي جعل مملوكي بأمني...)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) اقبال الأعمال : ١/٤٤٣ . ٤٤٥ . باسناده عن التلعكبري عن ابن عجلان عن الصادق عليّ وعنه في بحار الأنوار : ٤٦ /

١٠٣ . ١٠٥ . و ٩٨/١٨٦ . ١٨٧ .

(٢) الإرشاد : ٢/١٤٧ ، ومناقب آل أبي طالب : ٤/١٧١ وفي تاريخ دمشق : ٣٦ / ١٥٥ .

## الباب الثاني: فيه فصول:

### الفصل الأول: نشأة الإمام زين العابدين عليه السلام.

### الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام زين العابدين عليه السلام.

### الفصل الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام من الولادة إلى الإمامة.

### الفصل الأول: نشأة الإمام زين العابدين عليه السلام

لقد توفرت للإمام زين العابدين عليه السلام جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيته بصورة متميّزة، جعلته في الرعيّل الأول من أئمّة المسلمين الذين منحهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثقته، وجعلهم قادة لأمته وأمناء على أداء رسالته. نشأ الإمام في أرفع بيت وأسماء ألى وهو بيت النبوة والإمامة الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه<sup>(١)</sup>، ومنذ الأيام الأولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يتعهده بالرعاية ويشعّ عليه من أنوار روحه التي طبّق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد . بحق . صورة صادقة عن جدّه، يحاكيه ويضاهيه في شخصيته ومكوّناته النفسية.

كما عاش الإمام عليه السلام في كنف عمّه الزكي الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة وربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطه الأول، إذ كان يصدق عليه من عطفه وحنانه، ويغرس في نفسه مئله العظيمة وخصاله السامية، وكان الإمام عليه السلام طوال هذه السنين تحت ظل والده العظيم أبي الأحرار وسيّد

(١) إشارة لقوله تعالى: ( فِي بُيُوتٍ أَلَى اللَّهِ نَزَعٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعْظِيمًا لَهُ فِيهَا يُنَاجَىٰ وَتَحْمِيحًا \* وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالنَّصِيحَةِ الْمُبِينَةِ ) . النور (٢٤) : ٣٦ . ٣٧ .

الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي رأى في ولده علي زين العابدين عليه السلام امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانية النبوة ومثل الإمامة، فأولاده المزيد من رعايته وعنايته، وقدمه على بقية أبنائه، وصاحبه في أكثر أوقاته.

لقد ولد الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦ هـ)<sup>(١)</sup> يوم فتح البصرة، حيث إنَّ الإمام علي عليه السلام لم ينتقل بعد بعاصمته من المدينة إلى الكوفة. وتوفي بالمدينة سنة (٩٤ أو ٩٥ هـ).

وهناك من المؤرخين ذكر أنه ولد في سنة (٣٨ هـ) وفي مدينة الكوفة حيث كان جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد اتخذها عاصمة لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبيعي أن يكون الحسين السبط عليه السلام مع أهله عن أبيه عليه السلام في هذه الفترة بشكل خاص<sup>(٢)</sup>  
أمه :

اسمها (شهربانو) أو (شهر بانويه) أو (شاه زنان) بنت يزيدجرد آخر ملوك الفرس<sup>(٣)</sup>، وذكر البعض أنَّ أمه قد أجابت نداء ربّها أيام نفاسها فلم تلد سواه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الإرشاد : ١٣٧/٢، ومناقب آل أبي طالب : ١٨٩/٤، والإقبال : ٦٢١، ومصباح الكفعمي : ٥١١، والأنوار البهية : ١٠٧ قال: سنة ٣٦ يوم فتح البصرة.

(٢) تاريخ أهل البيت، لابن أبي الثلج البغدادي م ٣٢٥ : ٧٧.

(٣) رغم أن أغلب المؤرخين متفقون على أن أم الإمام السجاد عليه السلام هي ابنة الملك يزيدجرد إلا أن هناك من يعتبر ذلك مجرد أسطورة، راجع زندگانی علي بن الحسين عليه السلام للسيد جعفر الشهيدي. والإسلام وإيران للشهيد مطهري: ١٠٠ - ١٠٩ وحول السيدة شهر بانو للشيخ اليوسفي الغروي في مجلة رسالة الحسين عليه السلام : ١٤/٢٤ . ٣٩، والثابت أن أم الإمام السجاد عليه السلام سببية من سبايا الفرس، ولا يثبت أكثر من هذا.

(٤) سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام : ١٨٩ / ٢، الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

كُناه :

أبو الحسن، أبو محمد، أبو الحسين، أبو عبد الله<sup>(١)</sup>.

ألقابه:

(زين العابدين) و (ذو الثننات) و (سيّد العابدين) و (قدوة الزاهدين) و (سيّد المتّقين) و (إمام المؤمنين) و (الأمين) و (السّجاد) و (الزّكي) و (زين الصالحين) و (منار القانتين) و (العدل) و (إمام الأمة) و (البكّاء)، وقد اشتهر بلقب (السجاد) و (زين العابدين) أكثر من غيرهما.

إنّ هذه الألقاب قد منحها الناس للإمام عندما وجدوه التجسيد الحيّ لها، والمصدق الكامل لـ :

(وَبِنْدِ أَرْحَمِ الرَّحْمٰنِ يَمْشِيْ فِى اَرْضِ رِوَضٍ مِّنْ اَرْضِ مَدِيْنَةِ مَكَّةَ الْمُحَدَّثَةِ بِحُجْرَةٍ مُّبَارَكَةٍ مِّنْ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنّهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رأوها فيه.

لقد ذكر المؤرّخون ما يبين لنا بعض العلل التاريخية لجملة من هذه الألقاب المباركة:

١ . روي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: كنت جالسا عند رسول الله

ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال ﷺ : (يا جابر، يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم

القيامة نادى مناد ليقم (سيّد العابدين)

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ، دراسة وتحليل: ٣٩٠.

(٢) الفرقان (٢٥) : ٦٣.

- فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام<sup>(١)</sup>.
- ٢ . كان الزهري إذا حطّ عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: حدّثني (زين العابدين) علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: لم تقول له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: (إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطر (يخطو) بين الصفوف)<sup>(٢)</sup>؟
- ٣ . وجاء عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كلّ مرة خمس ثغفات، فسُمّي ذا الثغفات لذلك)<sup>(٣)</sup>.
- ٤ . كما جاء عنه عن كثرة سجود أبيه: ما ذكر الله عزّ وجلّ نعمة عليه إلاّ وسجد، ولا دفع الله عنه سوءاً إلاّ وسجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلاّ وسجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسُمّي بالسجّاد<sup>(٤)</sup>.

(١) إحقاق الحق: ١٢ / ١٣ - ١٦، والبداية والنهاية لابن كثير: ٩ / ١٠٦.

(٢) علل الشرائع: ٢٦٩/١، والأماي: ٣٣١ وعنهما في بحار الأنوار: ٤٦ / ٢ الحديث ١ و ٢.

(٣) علل الشرائع: ٢٧٣/١ ومعاني الأخبار: ٦٥ وعنهما في بحار الأنوار: ٤٦ / ٦.

(٤) علل الشرائع: ٢٧٢/١ وعنه في بحار الأنوار: ٤٦ / ٦ ح ١٠.

## الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

تنقسم حياة الإمام زين العابدين عليه السلام . كما تنقسم حياة سائر الأئمة عليهم السلام . إلى مرحلتين متميزتين:

١ . مرحلة ما قبل التصدي للإمامة والزعامة .

٢ . مرحلة التصدي وممارسة القيادة حتى الشهادة .

لقد عاش الإمام زين العابدين عليه السلام في المرحلة الأولى من حياته في ظلال جدّه الإمام أمير المؤمنين ، وعمّه الإمام الحسن المجتبي وأبيه الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام مدة تناهز العقدين ونصف العقد ، حيث قضى في كنف جدّه الإمام علي عليه السلام ما يزيد قليلاً عن أربع سنوات ، وما لا يقل عن سنتين لو كانت ولادته سنة ( ٣٨ هـ ) .

بينما قضى عقداً آخر من حياته في كنف عمّه وأبيه عليه السلام حيث استشهد عمّه الإمام الحسن السبط عليه السلام سنة ٥٠ هجرية .

كما قضى عقداً ثانياً في ظل قيادة أبيه الحسين السبط عليه السلام وهي الفترة الواقعة بين مطلع سنة ( ٥٠ هـ ) وبداية سنة ( ٦٠ هـ ) .

لقد عاش الإمام زين العابدين عليه السلام فترة المخاض الصعب خلال المرحلة الأولى من حياته وقضاها مع كل من جدّه وعمّه وأبيه عليه السلام ، واستعدّ مراحل حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بعدها لتحمل أعباء الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه والصفوة من أهل بيته وأصحابه في ملحمة عاشوراء الخالدة التي مهّدت لها معاوية بن أبي سفيان وتحمل وزرها ابنه يزيد المعلن بفسقه والمستأثر بحكم الله في أرض الإسلام المباركة .

وأما المرحلة الثانية من حياته الكريمة قد ناهزت ثلاثة عقود ونصف عقد من عمره الشريف، وعاصر خلالها كلاً من حكم يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، ثم اغتالته الأيدي الأموية الأثيمة بأمر من الحاكم وليد بن عبد الملك بن مروان واستشهد في (٢٥) من المحرم أو ما يقرب منه سنة (٩٤) أو (٩٥) هجرية عن عمر يناهز (٥٧) سنة أو دونها قليلاً<sup>(١)</sup> فكانت مدة إمامته وزعامته حوالي (٣٤) سنة.

وفي هذه الدراسة نقسم المرحلة الثانية من حياة هذا الإمام الحافلة بأنواع الجهاد إلى قسمين متميزين من الكفاح والجهاد :

الأول: جهاده بعد ملحمة عاشوراء وقبل استقراره في المدينة .

الثاني: جهاده بعد استقراره في المدينة.

وعلى هذا التقسيم سوف ندرس حياته ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: حياته قبل استشهاد أبيه عليه السلام .

المرحلة الثانية: حياته بعد استشهاد أبيه وقبل استقراره في المدينة.

المرحلة الثالثة: حياته بعد استقراره في المدينة.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٣١٠، بحار الأنوار: ٤٦/١٥٠٨ .

### الفصل الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام من الولادة إلى الإمامة

وتتضمن استعراض عصر الإمام عليه السلام وحياته قبل كربلاء، أي من الولادة حتى استشهاد أبيه عليه السلام من سنة (٣٨ أو ٣٦ هـ) إلى سنة (٦١ هـ).

لقد عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام في مرحلتي الطفولة والفتوة حكم معاوية بن أبي سفيان الذي تميّز بالاضطراب أولاً، ثم تلاه القمع في العراق، والتأزم في الحجاز، وإقصاء السنة وظهور البدعة. ولقد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في الكوفة في شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، فيما كان يعبى الناس لحرب جديدة مع معاوية، وإثر استشهاد عليه السلام بايع أهل العراق ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام خليفة عليهم، إلا أنّ قلوب أغلب المبايعين لم تكن تصدق ألسنتهم، فلا ينتظر من المتظاهرين بالتشيّع في الكوفة وفي جيش الإمام علي عليه السلام. الذين آذوه إلى الدرجة التي تمنى فيها غير مو الموت. أن يكون سلوكهم مع ولده الحسن عليه السلام أفضل ممّا كان معه.

وكانت الكوفة في السنوات الأخيرة من عمر الإمام علي عليه السلام تضم مختلف الاتجاهات والجماعات، فكان هنالك اللاهثون وراء السلطة، الطامعون في أن يوليهم الخليفة الجديد منصبا ما والمسلمون الجدد الذين دفعتهم الآمال الكبيرة إلى الإعراض عن مدتهم والتوجه إلى عاصمة الخلافة على أمل الحصول على عمل يحقق رغباتهم، والانتهازيون من الموالي الذين تحالفوا مع هذه القبيلة العربية أو تلك لتغطي على تأمرهم؛ إذ لا يجروون على التحجّر دون غطاء عروبي.

لقد تقوّم المجتمع الكوفي وقتذاك بهذه الجماعات التي وجهت قدرتها لإيجاد العراقيين والعقبان أمام حركة الإمام الحسن السبط عليه السلام عندما اشترط قيس بن سعد بن عبادة بيعته للإمام الحسن عليه السلام بمحاربة أهل الشام، لكنّ الإمام اضطر إلى الصلح مع معاوية بعد أن كشفت أكثر قوات الإمام ما كانت تضم من أهداف تأمرية على شخص الإمام، والمخلصين من أصحابه بإنضواء بعضهم تحت لواء معاوية، وبثهم الإشاعات التي أسفرت عن التخاذل المقيت، حتى كتب من كتب منهم إلى معاوية بتسليمهم إمامهم وقائدهم إلى معاوية.

لقد امتازت الفترة الواقعة بين سنة (٤١ هـ) وسنة (٦٠ هـ) بتشديد القهر والقمع على أتباع أهل البيت عليه السلام في العراق، وتبيّن من خلال تعامل معاوية مع زعماء هذه المنطقة. الذين كانوا يلتقونه بين الحين والآخر. الدرجة التي بلغها سخطه على أهل العراق. وقد انكفأ السياسيون العراقيون. الذين خدعوا في حرب صفين وسلطوا أهل الشام على مقدراتهم. في بيوتهم إبان حكم معاوية، لكنهم كانوا ينتظرون أن تسنح لهم فرصة جديدة للتحرك.

ومن جهة أخرى لحق بالمسلمين المخلصين . الذين نشأوا على التربية الإسلامية النقية وارتفعوا عن المنظار القومي والقبلي أو نظروا من خلاله بالشكل الذي لم يضر بدينهم . أذى أكبر مما لحق بالطائفة الأولى، إذ كانوا يرون في عهد معاوية . الذي امتد نحو عشرين عاماً . اندراس سنة النبي ﷺ .

لقد ظهرت البدعة وساد النظام الملكي عوضاً عن الخلافة، واستلم مقاليد أمور المسلمين أفراد أسرة قامت بكلّ ما بوسعها من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى أنّ ولدًا غير شرعيّ من آل ثقيف يصبح . وبشهادة بائع خمر . أحمأ لمعاوية<sup>(١)</sup> .

وخلافا لصريح القرآن الكريم لقد بث معاوية الجواسيس بين الناس ليحصوا عليهم أنفاسهم، ونسخ الوفاء بالعهد والإيمان، فقتلوا حجر بن عديّ بعد كلّ الضمانات التي أعطوها له، وبمؤامرة نسج خيوطها معاوية دسّت جعدة بنت الأشعث بن قيس السمّ لزوجها الإمام الحسن المجتبيّ سبط رسول الله ﷺ .

إلى عشرات الممارسات الأخرى المخالفة لصريح القرآن وسنة النبي ﷺ التي كان يتّسم بها ذلك العهد.

فكانت النتيجة أنّه لم يبق أي مظهر إسلامي للحكومة الإسلامية في الشام والعراق اللّذين كانا يمثّلان أخطر مركزين في الدولة آنذاك، كما اقتصر فقه المسلمين على الصلاة والصوم والحج والزكاة وما يسمّى بالجهاد، وكان المتديّتون المخلصون يتألّمون بشدّة لتفشّي البدع، فكانوا يترتّبون الفرص التي تتيح لهم إقصاء ما ابتدعه معاوية في عصره باسم الإسلام.

---

(١) راجع: ترجمة سُمّية أم زياد في هامش وقعة الطف : ٢١١ و ٢١٢ .

الوضع السياسي في العراق عند موت معاوية :

وعندما مات معاوية اعتبر الفريقان المنتقذان في العراق أن الفرصة باتت مؤاتية :

أ . فريق أهل الدين الذين عاشوا آلام المسلمين وأحزنهم غياب سنة النبي ﷺ ، وكانوا يستهدفون القضاء على النظام الملكي وإعادة الحكومة الإسلامية كما كانت في عصر الخلفاء السابقين على الأقل .  
ب . السياسيون المحترفون اللاهثون وراء السلطة الذين كانوا يرومون وضع حد لتحكم الشام بالعراق .  
وفي الأيام التي كان العراق فيها يغص بالأحداث الخطيرة كان للأجواء في الشام طابع آخر .

كان يزيد في قرية حوارين<sup>(١)</sup> عندما هلك والده معاوية، فعاد بمساعي والي الشام (الضحك بن قيس) إلى دمشق ليعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأسرع إلى محاولة تبديد مخاوفه من الأشخاص الذين سيعارضونه، فكتب في الأيام الأولى من خلافته رسالة إلى حاكم المدينة طلب منه فيها أن يأخذ البيعة له من الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وكان واضحاً من البداية أنّ الحسين عليه السلام لن يبايع يزيد، واعتبر ابن الزبير نفسه خليفة، إلا أنّ الناس تجاهلوه، ولم يكن لابن عمر أيّ دور في الأوضاع، فلن تحقّق بيعته أو عدمها أيّ ضرر بخلافة يزيد، من هنا فإنّ يزيد لا يخشى إلاّ

---

(١) قرية تقع بين تدمر ودمشق.

الحسين بن علي عليه السلام ويتعجل أن يتبين موقفه.

وفي تلك الفترة كان من الطبيعي أن يختار العراق . الذي كان يتحين الفرص . ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائدا له ليحقق أهداف المؤمنين المخلصين والسياسيين المحترفين في آن واحد، باعتباره الشخص الوحيد الذي يمكنه إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقضاء على البدع، وأنه الوحيد القادر على استقطاب قلوب الناس بشرافة نسبه وجلالة قدره وكرامة نفسه وتقواه، وهو الأشدّ رفضاً للظلم، ولهذا السبب رفض مبايعة يزيد.

ومن هنا تشكّلت المجالس وانعقدت الجماعات في الكوفة فكانت النتيجة أن وُجّهت الدعوة إلى الحسين بن علي ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحجاز لينتقل إلى العراق، وتضمّنت الدعوة المؤكدة بأن أهل الكوفة على أهبة الاستعداد لقتال الأمويين الذين غصبوا الحكم تحت راية الحسين عليه السلام .

وقد بعث الحسين عليه السلام ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومعه إجابات الإمام الحسين عليه السلام على رسائل الكوفيين. وقد التف الكوفيون حول ابن عقيل ورحبوا به وأكّدوا له مبرّ أخرى استعدادهم لخوض الحرب ضدّ طغاة الشام تحت قيادة الحسين، فأرسل إلى الحسين عليه السلام رسالة أوضح فيها أن في الكوفة مئة ألف رجل يتعهدون بمناصرة الإمام مشدداً على ضرورة إسراع الإمام في التّجّير إلى العراق. والمدّهم أن رسائل بعثت في تلك الأيام من الكوفة إلى الشام تؤكّد ليزيد أنه إذا أراد الكوفة فإن عليه أن يبعث عليها حاكماً مقتدرًا، لأنّ حاكمها النعمان بن بشير أظهر ضعفاً في تعاطيه مع الأحداث.

وقد تباحث يزيد في هذا الأمر مع مستشاره الرومي السيرجون، الذي أشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد حاكماً على الكوفة، وبوصول ابن زياد إلى الكوفة تخلى أهلها عن مسلم، وأتاحوا لابن زياد قتله مع مضيقه هانئ بن عروة، ومن جهة أخرى كان الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وعدد من أنصاره في الطريق إلى العراق، والإمام زين العابدين عليه السلام يرافق والده في كل هذه الظروف العصيبة حتى وصلوا العراق<sup>(١)</sup>.

### النص على إمامة زين العابدين عليه السلام

لقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة اثني عشر إماماً من أهل بيته الأطهار، وعيّنهم بذكر أسمائهم وأوصافهم، كما هو المعروف من حديث الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره عند العامة والخاصة<sup>(٢)</sup>.

كما نص كل إمام معصوم على الإمام الذي يليه قبل استشهاده في مواطن عديدة بما يتناسب مع ظروف عصره، وقد كان النص يكتب ويودع عند أحد سرّاً، ويجعل طلبه دليلاً على الاستحقاق، ونلاحظ تكرر هذه الظاهرة في حياة أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالنسبة لابنه زين العابدين عليه السلام تارة في المدينة وأخرى في كربلاء قبل استشهاده.

ومما روي من النص على إمامة ولده عليه السلام ما رواه الطوسي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أن الحسين لما خرج إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك وقال لها: (إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك). فلما قُتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطتها الحسين عليه السلام.

(١) اقرأ أخبار هذه الأحداث مسندة موثقة في: وقعة الطف لأبي مخنف: ٧٠-١٤١، تحقيق محمد هادي اليوسفي الغروي.  
(٢) راجع: منتخب الأثر: ٩٧، الباب الثامن، والإرشاد وإعلام الوري بأعلام الهدى: ١٨١/٢، ١٨٢، النصوص على الأئمة الاثنا عشر، قادتنا: ١٤/٥، وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ٢٨٥/٢، النصوص العامة على الأئمة، وإحقاق الحق وملحقاته ج ١. ٢٥٠.

وفي نصٍّ آخر: أئبه ﷺ جعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الأنام فطلبها زين العابدين ﷺ (١).

وروى الكليني عن أبي الجارود عن الإمام الباقر ﷺ: أن الحسين ﷺ لمّا حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيةً ظاهرة، وكان عليّ بن الحسين ﷺ مريضاً لا يرون أنه يبقى بعده، فلمّا قُتل الحسين ﷺ ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ﷺ (٢).

وسوف نلاحظ في احتجاج الإمام ﷺ مع عمّه محمد بن الحنفية أنه قال له: (إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة) (٣).

### الإمام زين العابدين ﷺ يوم عاشوراء :

إن أشدّ ما كان يحزّ في نفوس أهل بيت الرسالة ومحبيهم ما رواه حميد بن مسلم، وهو شاهد عيان بعد ظهر اليوم العاشر من المحرمّ إثر استشهاد الإمام الحسين ﷺ إذ قال: لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها من ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها. ثم انتهينا إلى علي بن الحسين ﷺ وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة، فقالوا له: ألا تقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان؟! إنّما هذا صبيّ وإنّه لما به، فلم أزل حتى دفعتهم عنه.

(١) الكافي: ١ / ٢٤٢ / ٣، والغيبة للطوسي: ١١٨ الحديث ١٤٨، واثبات الهداة: ٥ / ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) الكافي: ١ / ٢٤١ / ١، واثبات الوصية: ١٤٢، وإعلام الوري: ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٣) الاحتجاج: ٢ / ١٤٧، احتجاجات الإمام زين العابدين ﷺ.

وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة ولا تتعرضوا لهذا الغلام المريض... من أخذ من متاعهن شيئاً فليردّه عليهن، فوالله ما ردّ أحد منهم شيئاً<sup>(١)</sup>.

وهكذا شارك الإمام زين العابدين عليه السلام أباه الحسين السبط عليه السلام في جهاده ضد الطغاة ولكنه لم يرزق الشهادة مع أبيه والأبرار من أهل بيته وأصحابه، فإنّ الله سبحانه كان قد حفظه ليتولّى قيادة الأمة بعد أبيه عليه السلام ويقوم بالدور المعد له لصيانة رسالة جده صلى الله عليه وآله من أيدي العتاة العابثين وانتحال الضالّين المبطلين ومن التيارات الوافدة على حضيرة الإسلام التي أخذت رقعتها بالانتساع والانتشار السريع.

---

(١) الإرشاد: ٢ / ١١٢ ، وانظر وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٥٦ ، ٢٥٧.

## الباب الثالث: فيه فصول:

الفصل الأول: الإمام عليّ من كربلاء إلى المدينة.

الفصل الثاني: حياة الإمام عليّ في المدينة.

الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين عليّ.

### الفصل الأول: الإمام زين العابدين عليّ من كربلاء إلى المدينة

الإمام زين العابدين عليّ بعد ملحمة عاشوراء :

ذكر المؤرخون عن شاهد عيان أنه قال: قدمت الكوفة في المحرم من سنة إحدى وستين، منصرف علي بن الحسين عليّ بالنسوة من كربلاء ومعه الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر اليهم، فلما أُقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفة يبكين، ويلتدمن<sup>(١)</sup>، فسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل وقد تحكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: (إن هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا؟!)<sup>(٢)</sup>.

وعندما أدخلوا الإمام السجاد عليّ على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: (أنا علي بن الحسين)، فقال له: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال عليّ عليّ: قد كان لي أخ يسمى علياً قتلته الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليّ: (اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد عليّ! اذهبوا به فاضربوا عنقه<sup>(٣)</sup>.

(١) التدمت المرأة: ضربت صدرها في النياحة، وقيل: ضربت وجهها في المآثم.

(٢) الأمالي للطوسي: ٩١.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢٤٤، ووقعة الطف: ٢٦٢، ٢٦٣.

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقتة وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلتته فاقتلني معه، فقال لها عليّ عليه السلام: اسكني يا عمّة حتى أكلمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أباقتل تهديّني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلى دار بجانب المسجد الأعظم، ولما أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر<sup>(١)</sup>. ثمّ إنّ ابن زياد نصب الرّؤوس كلّها بالكوفة على الخشب، كما أنّه كان قد نصب رأس مسلم بن عقيل من قبل بالكوفة.

وكتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته<sup>(٢)</sup>. كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة - وهو من بني أمية - يخبره بقتل الحسين عليه السلام. ولما وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه إليه، فأمر ابن زياد بنساء الحسين عليه السلام وصبياناه فجهّزوا، وأمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغُلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرّؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي وشمّر بن ذي الجوشن، وحملهم على الأقتاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرّؤوس، فلم يكلم علي بن الحسين عليه السلام أحدا منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام<sup>(٣)</sup>.

(١) مقتل الخوارزمي: ٤٣/٢ مرسلًا، واللّهوف على قتلى الطفوف: ١٤٥.

(٢) الكامل في التاريخ للجزري: ٨٣/٤، وإنّ أوّل رأس حمل في الإسلام هو رأس عمر بن الحمق الخزاعي إلى معاوية.

(٣) عن طبقات ابن سعد في ذيل تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٣١، وأنساب الأشراف: ٢١٤، والطبري: ٤٦٠/٥ و ٤٦٣، والإرشاد: ١١٩/٢ واللفظ للأخير.

## سبايا آل البيت ﷺ في دمشق :

خضعت الشام منذ فتحها بأيدي المسلمين لحكام مثل خالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان، فلم يشاهد الشاميون النبي ﷺ ولم يسمعوا حديثه الشريف منه مباشرة، ولم يطلعوا على سيرة أصحابه عن كتب، أما النفر القليل من صحابة رسول الله ﷺ الذين انتقلوا إلى الشام وأقاموا فيها فلم يكن لهم أثر في الناس، فكانت النتيجة أن أهل الشام اعتبروا سلوك معاوية بن أبي سفيان وأصحابه سنة للمسلمين، ولما كانت الشام خاضعة للإمبراطورية الرومية قروناً طويلة، فقد كانت حكومات العصر الإسلامي أفضل من سابقاتها بالنسبة للشاميين.

ومن هنا ليس أمراً عجيبياً أن نقرأ في كتب التاريخ أن شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد عليه السلام عند دخول سبايا آل محمد ﷺ الشام وقال له: الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم.

فقال له الإمام عليه السلام: يا شيخ أقرأت القرآن؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام عليه السلام: أقرأت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام عليه السلام: فنحن القربى، يا شيخ!

ثم قال له: فهل قرأت (وَوَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)؟

قال: قد قرأت ذلك.

قال عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: (مَعَلِّمُوا نَمَّاءً عَنَّمْكُمْ مِنْ شَبِيهِ فَبَأَلَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَكَذَلِكَ الْقُرْبَى)؟

قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: نحن القربى.

يا شيخ! هل قرأت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)؟

قال الشيخ: بلى.

قال له الإمام عليه السلام: نحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة.

قال الشيخ: بالله إنكم هم؟!!

قال الإمام عليّ: تالله إنّنا لنحن هم من غير شكّ وحقّ جدّنا رسول الله ﷺ إنّنا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إني أبرأ إليك من عدو آل محمّد<sup>(١)</sup>. وذكر المؤرّخون أنّه لما قدم عليّ بن الحسين عليّ وقد قُتل الحسين بن عليّ استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطّ رأسه وهو في الحمل، فقال له عليّ بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأفّ ثمّ أقم<sup>(٢)</sup>. لقد كان جواب عليّ بن الحسين عليّ أن الصراع إنّما هو على الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحدانيّته وليس على رئاسة بني هاشم، وأنّ استشهاد الحسين والصفوة من أهل بيته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدي وثباته أمام جاهلية بني أمية ومن حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام.

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، واللّهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، ومقتل المرقم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير والآلوسي.

(٢) أمالي الطوسي: ٦٧٧.

الإمام عليّ في مجلس يزيد:

لَدْخَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسَاؤُهُ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ أَهْلِهِ عَلَى يَزِيدٍ وَهَمَّ مَقْرَنُونَ فِي الْحَبَالِ وَزَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْلُولٍ، فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ تَمَثَّلَ يَزِيدٌ بِشَعْرِ حَصِينِ بْنِ حَمَامِ الْمَرْيِ قَائِلًا:

نَفَّلَقَ هَامَا مِنْ رَجَالِ أَعْمَى عَلَيْنَا وَهَمَّ كَانُوا أَعْقَى وَأَظْلَمَا<sup>(١)</sup>

فرد عليه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام بقوله تعالى: (مَا صَبَّ إِلَيْنَا مِنْ مَاءٍ يَنْصُبُهُ إِلَّا لِأَرْضِي وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ نَبِّئَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْنَاكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)<sup>(٢)</sup>.

وتميّز يزيد غضباً، فتلا قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)

(٣).

وينقل المؤرخون عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام قولها: فلما جلسنا بين يدي يزيد رق لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الحارية. يعنيني. فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائر لهم فأخذت بشياب عمّي زينب وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون.

فقالت عمّي للشامي: كذبت والله ولؤمت والله، ما ذاك لك ولا له!

فغضب يزيد وقال: كذبت إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت!

قالت: كلاً والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها، فاستطار يزيد غضباً،

وقال: إيتاي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين

(١) الإرشاد: ١١٩/٢ و ١٢٠، ووقعة الطف لأبي مخنف: ١٦٨ و ٢٧١، والعقد الفريد: ٥ / ١٢٤.

(٢) الحديد (٥٧): ٢٢ - ٢٣.

(٣) الشورى (٤٢): ٣٠.

أبوك وأخوك!

قالت: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً، قال: كذبت يا عدو الله!

قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر بسطنانك، فكأنه استحيى وسكت.

فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية، فقال يزيد: أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن اعتماد يزيد لهجة أقل قسوة وشراسة من لهجة ابن زياد في الكوفة يعود إلى أن الأخير كان يريد أن يدلّل على إخلاصه لسيدّه، بينما لا يحتاج يزيد ذلك، ولعلّ يزيد أدرك أنّه قد ارتكب خطأً كبيراً في قتله الحسين عليه السلام وسببه أهل بيت النبوة، من هنا فإنّه أراد تخفيف مشاعر السخط تجاهه.

وفي تلك الأيام أوعز يزيد إلى خطيب دمشق أن يصعد المنبر ويبالغ في ذم الحسين وأبيه عليه السلام فانبرى إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فصاح به: (ويلك أيها الخاطب، إشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتنبؤ مقعدك من النار).

واتّجه الإمام نحو يزيد فقال له: (أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنّ لله رضى، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب...).

وبهت الحاضرون وعجبوا من هذا الفتى العليل الذي ردّ على الخطيب والأمير وهو أسير، فرفض يزيد إجابته، وألح عليه الجالسون بالسماح له فلم يجد بُدّاً من إجابتهم فسمح له، واعتلى الإمام أعواد المنبر، وكان من جملة ما قاله: (أيها الناس، أعطينا ستاً، وفُضّلنا بسبع: أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنّ منّا النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ومنّا الصديق ومنّا الطيّار ومنّا أسد الله وأسد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأمة وسيّدا شباب أهل الجنّة).

(١) الإرشاد: ١٢١/٢، ووقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧١، ٢٧٢.

وبعد هذه المقدمة التعريفية لأسرته أخذ عليه السلام في بيان فضائلهم، قائلاً:

(فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي. أنا ابن مَكَّةَ ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من انترز وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولّى، أنا ابن من حُمِلَ على البراق في الهواء، أنا ابن من أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله. أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقاطع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول رب العالمين.  
أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرّمي الله، وبستان حكمة الله، ...  
ذاك جليّ عليّ بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنا ابن المرمل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظلّماء، وناحت عليه الطير في الهواء).  
ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون.

فأوعز يزيد إلى المؤذّن أن يؤذّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذّن (الله أكبر) فالتفت إليه الإمام فقال له: (كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله)، فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلا الله قال الإمام عليه السلام: (شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي)، ولما قال المؤذّن: أشهد أن محمداً رسول الله التفت الإمام إلى يزيد فقال له: (يا يزيد! محمّد هذا جيّد أم جيّد؟ فإن زعمت أنّه جيّد فقد كذبت، وإن قلت: أنّه جيّد فلم تقتلت عترته<sup>(١)</sup>)!

ووجم يزيد ولم يجر جواباً، فإنّ الرسول العظيم صلّى الله عليه وآله وسلّم هو جدّ سيّد العابدين، وأمّا جدّ يزيد فهو أبو سفينان العدو الأوّل للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتبيّن لأهل الشام أنّهم غارقون في الإثم، وأنّ الحكم الأموي قد جهد في إغوائهم وإضلالهم، وتبيّن بوضوح أنّ الحقد الشخصي وغياب النضج السياسي هما السببان لعدم

(١) نفس المهموم: ٤٤٨ - ٤٥٢ ط قم عن مناقب آل أبي طالب: ١٨١/٤ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي: الخطبة بدون المقدمة. والمقدمة عن الكامل للبهائي: ٢/٢٩٩-٣٠٢، وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: ١٧٥-١٧٧.

إدراك يزيد عمق ثورة الإمام الحسين عليه السلام مما أدى إلى توهمه بأنها لن تؤدّي إلى نتائج خطيرة على حكمه.

ولعل أكبر شاهد على هذا التوهم هو رسالة يزيد في بدايات تسلّمه الحكم لواليه على المدينة والتي أمره فيها بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام أو قتله وبعث رأسه إلى دمشق إن رفض البيعة.

وفي سياق الحديث عن حسابات يزيد الخاططة نُشير أيضاً إلى عملية نقل أسرى أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة، ومن ثمّ إلى الشام، وما تخلّل ذلك من ممارسات إرهابية عكست نزعتة الإجرامية، ولم يلتفت يزيد إلى خطورة الجريمة التي ارتكبها إلا بعد أن تدققت عليه التقارير التي تتحدث عن ردود الفعل والاحتجاجات على قتله ریحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك حاول أن يلقي مسؤولية الجريمة البشعة على ابن مرجانة، قائلاً للإمام السجاد عليه السلام : لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّي صاحب أهلك ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياها، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت، ولكن الله قضى الله ما رأيت، كاتبني من المدينة وأنه كلّ حاجة تكون لك <sup>(١)</sup>.

والتقى الإمام السجاد عليه السلام خلال وجوده في الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلاً: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: (أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون) <sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٤٦٢ ، والإرشاد : ١٢٢/٢ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٥ مرسلًا ورواه ابن سعد في الطبقات مسندًا عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفة وليس الشام، والخبر أكثر من هذا وإنما هذا مختصر الخبر .

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله ﷺ وعقائل الرسالة فيردّهن إلى يشرب<sup>(١)</sup> وأمر بإخراجهن ليلا خوفا من الفتنة واضطراب الأوضاع<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبري: ٤٦٢/٥ ، والإرشاد: ١٢٢/٢ وعنهما في وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧٢.

(٢) عن تفسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٩٣، والحدائق الوردية: ١ / ١٣٣.

## الفصل الثاني: الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين عليه السلام بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت عليه السلام إلى الكوفة. فبالرغم من القمع والإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كل من كان يبدي أدنى معارضة ليزيد، فإن أصواتاً بدأت ترتفع محتجةً على الظلم السائد.

فعندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحسين عليه السلام وأهل بيت الرسالة (قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وقال له: يا عدو الله إن الكذب أنت وأبوك والذي ولاي وأبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟!)

فقال ابن زياد: عليّ به، فأخذته الجلاوزة فنأدى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمئة فانتزعه من الجلاوزة، فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجته من بيته فضرب عنقه وصلبه<sup>(١)</sup>، ومع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات أخرى.

وظهرت في الشام أيضاً بوادر السخط والاستياء، الأمر الذي جعل يزيد ينحو باللائمة في قتل الحسين عليه السلام على ابن زياد، إلا أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في الحجاز، فقد انتقل عبد الله بن الزبير إلى مكة في الأيام الأولى من حكومة يزيد، وأخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن علي عليه السلام ووصفه بالتقوى والعبادة.

(١) الإرشاد: ١١٧/٢ وعنه في وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٦٥، ٢٦٦.

وفي المدينة ألقى الإمام زين العابدين عليه السلام خطاباً في أهلها لدى عودته من الشام والعراق، يقول المؤرّخون: إن الإمام عليه السلام جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله إليها، وخطب فيهم قائلاً:  
(الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العُلى، وقَرُبَ فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاطعة الكاظّة الفادحة الجائحة.  
أيّها القوم، إنّ الله . وله الحمد . ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتِلَ أبو عبد الله الحسين عليه السلام وشي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيّها الناس، فأَيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أي فؤاد لا يجزن من أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعتها وتضنّ عن أحمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أي فؤاد لا يحن إليه؟! أم أي سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يصمّ!

أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين وشاسعين عن الأمصار، كأ نّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إنّ هذا إلا اختلاق.

والله، لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفزعها وأمرّها وأفدحها! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام<sup>(١)</sup>.

لقد جسّد هذا الخطاب . على قصره . واقعة كربلاء على حقيقتها مركزاً على المظلومية التي لحقت بأهل البيت عليه السلام في قتل الحسين بن علي عليه السلام من جانب، وأسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التي لحقتهم بعد واقعة الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيدهم الحسين عليه السلام فوق الأسنّة من بلد إلى بلد.

وعقّب الإمام زين العابدين عليه السلام . بلمحة سريعة ومعجز ومؤثّرة . واصفاً ما لقيه آل البيت من السبي والتشريد والتعامل السيّء والمهين، وهم أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة، وهم قادة أهل الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية.

وأنهى الإمام خطابه بوصف في منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التي ارتكبتها جيش السلطة الأموية في حق أهل البيت عليه السلام ، فإن الرسول صلّى الله عليه وآله لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهّاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! وكيف يمكن توجيه كل ما فعلوه وقد أوصاهم النبي صلّى الله عليه وآله بحفظه في عترته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة في قرياه؟!

فالإمام زين العابدين عليه السلام حاول في خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية في أهل المدينة، وتحريك الوعي النهضوي ضدّ الظلم والجبروت الأموي والطغيان السفلياني.

---

(١) اللهوف: ١١٦، بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٨ - ١٤٩.

ولم تكن الأوضاع هادئة في المدينة في هذه السنة التي كانت تحت إدارة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأوضح شاهد على اضطراب الأوضاع في المدينة هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين، واستبدال يزيد الوليد بن عتبة بعثمان بن محمد بن أبي سفيان<sup>(١)</sup>.

وأراد عثمان أن يدلّل على كفاءته في إدارة المدينة ويكسب رضا وجوهها عن يزيد وعنه فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفة الشاب عن كثب وينالوا نصيبهم من هداياه، إلا أن الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين ويقبح.

ولما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعييه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب. وهم للصوص. وإنا نشهدكم أننا قد خلعناه.

وقال عبد الله بن حنظلة: لو لم أجد إلاّ بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت عطاءه إلاّ لأتقيّ به.

فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم<sup>(٢)</sup>.

ثورة أهل المدينة :

إن نقد الوفد المدني ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد عند أهل المدينة على انحراف يزيد وتنكّره للإسلام وجوره وطغيانه، بل إنهم كانوا قد لمسوا جور يزيد وعمّاله على البلدان الإسلامية وفسقهم وشقّ بطشهم واستهتارهم بالحرّمات الإلهية التي لا مجال لتأويلها، إذ كيف يمكن تأويل ما ارتكبه من القتل الفظيع في حق الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ربحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة وما اقترفه من السبي لأهله وحرمه؟ وكيف يمكن تأويل ما أظهره من شربه للخمر التي حرّمها الله بالنص الصريح؟!

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٢) الطبري : ٥ / ٤٨٠ وعنه في الكامل في التاريخ : ٤ / ١٠٣ .

هذا، فضلاً عن حقد الأمويين على الأنصار، والذي لم يتردد الأمويون في إظهاره لهم، ومن هنا لم يتلکأ أهل المدينة في إخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بني أمية وأتباعهم، وكلم مروان بن الحكم . وهو العدو للدود لآل الرسول ﷺ . الإمام زين العابدين عليه السلام في منح الأمان له، فاستجاب الإمام عليه السلام لهذا الطلب تكريماً<sup>(١)</sup> وإغضاء عن كل ما ارتكبه هذا العدو في حق أهل البيت عليه السلام ، في دفن الإمام الحسن عليه السلام وفي الضغط على الإمام الحسين عليه السلام من أجل أخذ البيعة ليزيد.

ولما بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد أرسل مسلم بن عقبة ليقضي على ثورة أهل المدينة . وهي مدينة رسول الله ﷺ ومهبط وحي الله . وزوّه بتعليمات خاصة تجاههم قائلاً له:

لُع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبجها . أي المدينة . ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند<sup>(٢)</sup> . وأمره أن يُجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم<sup>(٣)</sup> .

وصل جيش يزيد إلى المدينة، وبعد قتال عنيف مع أهلها استبسل فيه الثائرون دفاعاً عن دينهم، واستشهد أغلب المدافعين بمن فيهم عبد الله بن حنظلة ومجموعة من صحابة رسول الله ﷺ ونفذ قائد الجيش أوامر سيده يزيد، وأوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، كما أسروا آخرين.

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٨٥ ، والکامل في التأريخ : ٤ / ١١٣ .

(٢) الطبري : ٥ / ٤٨٤ وعنه في الکامل .

(٣) التنبيه والإشراف : ٢٦٣ ط . القاهرة .

قال المقرَّب ابن كثير: أباح مسلم بن عقبة . الذي يقول فيه السلف (مسرف بن عقبة) قَبَّحه الله من شيخ سوء ما أجهله . المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد . لا جزاه الله خيراً . وقتل خلقاً من أشرفها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها... وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارى، فقال: عَجِّلوه لها، فضرب عنقه، وقال: أعطوها رأسه، ووقعوا على النساء حتى قيل: إنَّه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.

قال المدائني، عن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحِمْيَّر من غير زوج. وروي عن الزهري أنه قال: كان القتلى يوم الحِمْيَّر سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي ممن لا أعرف من حرٍّ وعبد وغيرهم عشرة آلاف<sup>(١)</sup>.

وحدث مرة أن دخلت الجيوش الشامية أحد البيوت، فلمَّا لم يجدوا فيه إلا امرأة وطفلاً سألوها إن كان في البيت شيء ينهبونه، فقالت: إنَّه ليس لديها مال، فأخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه بعد أن انتثر دماغه من أثر الضرب بالحائط<sup>(٢)</sup>.

ثم نصب كرسِيَّ لمسلم بن عقبة، وجيء بالأسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كلِّ واحد منهم أن يبايع ويقول: إنَّني عبد مملوك ليزيد بن

---

(١) البداية والنهاية : ٨ / ٢٢٠ ، وتأريخ الخلفاء: ٢٣٣ . أمَّا الطبري فلم يذكر إلا إباحة القتال والأموال ثلاثة أيام: ٤٩١/٥ وترك ذكر الفروج وتبعه الجزري في الكامل.

(٢) تاريخ ابن عساكر : ١٠ / ١٣ ، المحاسن والمساوي: ١ / ١٠٤ .

معاوية يتحكّم في وفي دمي وفي مالي وفي أهلي ما يشاء<sup>(١)</sup>.

وكل من كان يمتنع ولم يبايع بالعبودية ليزيد وكان يصر على القول بأنّه عبد الله . سبحانه وتعالى . كان مصيره القتل<sup>(٢)</sup>.

وجيء له بيزيد بن عبد الله . وجدّته أم سلمة زوج رسول الله ﷺ . مع محمد بن حذيفة العدوي، فطلب اليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب الله وسنة نبيّه، فقال مسلم: لا والله لا أفيلكم هذا أبداً، فقدّمهما فضرب أعناقهما.

فقال مروان بن الحكم . وكان حاضرا . : سبحانه الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمننا فضريت أعناقهما؟! فنحس مسلم مروان بالقضيب في خاصرته، ثمّ قال له: وأنت والله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقة (أي لثُنت) <sup>(٣)</sup>.

ثمّ جيء بآخر فقال : إني أبايع على سنة عمر، فقال: اقتلوه، فقتل<sup>(٤)</sup>.  
وأُتي بزين العابدين عليه السلام إلى مسلم بن عقبة، وهو مغتاض عليه فتبرأ منه ومن آبائه. فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلاّ شقّعه فيه، ثمّ انصرف عنه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤٩٣/٥ و ٤٩٥ وعنه في الكامل في التاريخ: ١١٨/٤ وفي مروج الذهب ٣: ٧٠، الكامل في التاريخ ٤: ١١٨، والبداية والنهاية ٨: ٢٢٢. وقد جاء في تاريخ يعقوبي ٢: ٢٥١: كان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبد قنّ ليزيد، فيقول: لا. فيضرب عنقه.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤ / ١١٨، مروج الذهب: ٣ / ٧٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٩٢ وعنه في الكامل في التاريخ: ٤ / ١١٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٩٣، الأخبار الطوال: ٢٦٥.

فقيل لعلي بن الحسين عليه السلام: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال: (قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره).  
قيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأي مئي، لقد ملئ قلبي منه رعباً، ولم يبائع الإمام عليه السلام ليزيد كما لم يبائع علي بن عبد الله بن العباس، حيث امتنع بأحواله من كندة، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبائع ابن اختنا إلا كبيعة علي بن الحسين<sup>(١)</sup>.

وذكر المؤرخون: أن الإمام زين العابدين عليه السلام كفل في واقعة الحرة أربعمئة امرأة من عبد مناف، وظل ينفق عليهن حتى خرج جيش مسلم من المدينة<sup>(٢)</sup>.

وجاء الحديث من غير وجه: أن مسرف بن عقبة لما قدم المدينة أرسل إلى علي بن الحسين عليه السلام فأتاه، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له: أوصاني أمير المؤمنين به عليه السلام وتميزك من غيرك...<sup>(٣)</sup>.  
وواضح أن البيعة إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادي على الإمام عليه السلام فإنه سيستمر على نهجه الرافض، وأن معنى الرفض هنا إنه يتصرّح بدمائه الزكية، وهذا يعني دخول صورة من صور النعمة العارمة ضد الممارسات الأموية القمعية التي سوف تزلزل أعمدة الكيان الحاكم.

(١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام، محمود البغدادي: ٢٧٣. الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) كشف الغمة: ٣١٩/٢ عن نثر الدرر للآبي (ق ٤ هـ) عن ابن الأعرابي.

(٣) الإرشاد: ١٥٢/٢.

وبعد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول ﷺ قال مسلم بن عقبة: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إليّ من قتل أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة<sup>(١)</sup>.

كان مسلم في تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أي أنّه كان قريباً جداً من حتفه وقد هلك بُعيد وقعة الحرة وقبل أن يصل إلى مكة، وكان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلا اسمه، ووظّفوا ظاهر القرآن والحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاوية بن أبي سفيان، وفي صقّين كان يقود معسكر معاوية بن أبي سفيان ضد الخليفة الشرعي للمسلمين، ألا وهو الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليّاً<sup>(٢)</sup>.

ولعلّه لم يسمع حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: (من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)<sup>(٣)</sup>.

ولعلّه قد سمع هذا الحديث، لكنّه لما وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبي ﷺ قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبي ﷺ وسي بناته من مدينة إلى أخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فمّمّ يخشى هو إن اعتدى على مدينة النبي ﷺ؟!!

وبعد أن قمع بوحشيّة ثورة أهل المدينة وأجهض انتفاضتهم؛ توجّه مسلم إلى مكة التي أعلن فيها عبد الله بن الزبير ثورته على الحكم الأموي،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٩٧ وعنه في الكامل في التاريخ: ٤ / ١٢٣ .

(٢) وقعة صفين: ٢٠٦ و ٢١٣ وفي الإصابة: ٣ / ٤٩٣ . ٤٩٤ .

(٣) البداية والنهاية: ٨ / ٢٢٣، رواه عن النسائي، وروى مثله عن أحمد بن حنبل. أنظر أحاديث أخرى عن هذا الموضوع في كنز العمال، كتاب الفضائل الحديث ٣٤٨٨٦، ووفاء الوفاء: ٩٠، وسفينة البحار: ٣٨/٨، ٣٩ عن دعائم الإسلام.

لكنّه لقي حتفه في الطريق، فتسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الأموي بناءً على أوامر يزيد، وعندما وصل أطراف مكة فرض حصاراً عليها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها<sup>(١)</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه مكّة تحت حصار الجيش الأموي لقي يزيد حتفه، فعقد قائد الجيش الأموي . الذي لم يكن وقتذاك يعرف زعيمه الذي يقا تل معه . مفاوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعدادده لقبول بيعته شريطة أن يرافقه إلى الشام، إلّا أنّ ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين وجيشه إلى الشام.

انشقاق البيت الأموي :

مات يزيد في ربيع الأول من سنة (٦٤ هـ) وهو في سنّ الثامنة والثلاثين من عمره في حُورين، وكانت صحيفة أعماله في مثبّ حكمه . الذي استمر ثلاث سنوات وبضعة أشهر . مُسوّهً بقتل ابن بنت النبي وأسر أهل بيت الوحي وحرائر الرسالة إلى جانب القتل الجماعي لأهل المدينة وهدم الكعبة المشرفة.

وبعد موت يزيد بايع أهل الشام ولده معاوية، إلّا أنّ حكمه لم يستمر أكثر من أربعين يوماً، إذ أعلن تنازله عن العرش، ومات بعدها في ظروف غامضة، فانشقت القيادات المؤيدة لبني أمية على نفسها إلى كتلتين: كتلة أيدت زعامة مروان بن الحكم، وقد مثّل هذا الاتجاه القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلبي، بينما أيدت قوى القيسيّين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري، عبد الله بن الزبير.

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٤٩٨ وعنه في الكامل في التاريخ : ٤ / ٢٤ عن الكلبي عن عوانة بن الحكم، ثم روى أخباراً عن ابن عمر تحاول نسبة الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأً، في محاولة لتبرير يزيد الشّرير.

وإبان خلافة يزيد القصيرة امتدَّ؛ أيدي الكلبين تدريجياً إلى مراكز السلطة، فمارسوا ضغوطاً شديدة على القيسيين، الأمر الذي أزعج الضحَّاك كثيراً فانتهاز الفرصة بعد موت يزيد ليبيع ابن الزبير . وهو من العرب العدنانية . واشتبك الكلبيون والقيسيون في (مرج راهط)<sup>(١)</sup> في معركة أسفرت عن انتصار الكلبيين، فأصبح مروان بن الحكم خليفة، واستقرت الأوضاع المضطربة في الشام نسبياً.

تزايد المعارضة للحكم الأموي :

صعد عبد الله بن الزبير معارضته للشام التي بدأها بعد موت معاوية، حيث كان قد دعا الحجازيين لمبايعته كخليفة للمسلمين، فاستجابت له الأكثرية الساحقة منهم، وشهد العراق من جديد تحركات ضد الحكم الأموي.

ويبدو أن الذين دعو الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق عبر الرسائل المتوالية ورحبوا بممثله إليهم ثم تخلَّوا عنه وعن الحسين عليه السلام بتلك الصورة المخزية ندموا على موقفهم المذلِّ ذاك، لكن هل الذين تحركوا ضدَّ الشام كانوا نادمين جميعاً

الجواب : كلاً، فليس جميع الذين تحركوا بعد موت يزيد كانوا يحملون همَّ الإسلام، فقد كان هناك من يريد إخضاع الشام للعراق وإعادة عاصمة الخلافة إلى العراق .  
وعلى أيِّ حال، فقد أعلن المتديِّون والسياسيون معارضتهم ضد حكم

---

(١) منطقة في شرق دمشق.

الشام، لكنهم لم يحققوا شيئاً يذكر<sup>(١)</sup> على صعيد إسقاط الحكم على المدى القريب، فقتل سليمان بن صرد قائد التوّابين، ورجع من بقي من جيشه إلى الكوفة، وفي تلك الغضون أظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي دعوته حاملاً شعاراً يا لثارات الحسين عليه السلام.

بدأ المختار بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين، وكان يعرف جيداً أنّ أيّ تحرّك شيعي يقتضي زعامة من أهل بيت الرسالة عليه السلام، وأنّ الانطلاق ينبغي أن يتمّ باسمهم ومن أفضل من عليّ بن الحسين عليه السلام؟ وإن رفض الإمام الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمد بن علي بن أبي طالب وهو عم الإمام السجاد عليه السلام.

من هنا كاتب المختار الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّه معاً، أمّا الإمام عليه السلام. فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه عليه السلام أمضى عمله عندما ثار من قتله أبيه الحسين عليه السلام. أمّا عمه محمد بن الحنفية فقد أجاب عليّ سؤال الوفد الذي جاء من الكوفة ليستفسر عن مدى شرعية الانضواء تحت راية المختار قائلاً: أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه<sup>(٢)</sup>.

وفهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار وهكذا استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة مثل إبراهيم بن مالك الأشتر وغيره.

(١) زندگانی علی بن الحسین (= حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام): ٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ١٢/٦ - ١٤. برواية أبي مخنف. وابن نما الحلّي في كتابه: شرح الثار روى عن والده: أنه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين، فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال لعنه محمد: يا عمّ، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتكم هذا الأمر فاصنع ما شئت. فخرجوا وهم يقولون: قد أذن لنا زين العابدين ومحمد بن الحنفية، كما روى عنه في بحار الأنوار: ٣٦٥/٤٥.

وأرسل المختار رأسَي عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى الإمام فسجد عليه السلام شكراً لله تعالى وقال:  
(الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وحزى الله المختار خيراً)<sup>(١)</sup>.

وقال اليعقوبي: ووجه المختار بالرأس الخبيث (أي: رأس ابن زياد) إلى الإمام عليّ بن الحسين، وعهد إلى رسوله بأن يضع الرأس بين يدي الإمام وقت ما يوضع الطعام على الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر، وجاء الرسول إلى باب الإمام، وقد دخل الناس لتناول الطعام، فرفع الرجل عقيرته ونادى: يا أهل بيت النبوة! ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي ومعني رأس عبيد الله بن زياد... ولم تبق علوية في دور بني هاشم إلا صرخت<sup>(٢)</sup>، ويقول المؤرخون: إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يُر ضاحكاً منذ أن استشهد أبوه إلا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة<sup>(٣)</sup>.

وعن بعض المؤرخين: أنه لما رأى الإمام رأس الطاغية قال: (سبحان الله، ما اغتتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة، لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد وهو يتغدى)<sup>(٤)</sup>.

سنوات المحن والاضطرابات :

كانت الفترة الممتدة بين عامي (٦٦ و ٧٥ هـ) بالنسبة للشام والحجاز

---

(١) رجال الكشي: ١٢٧ ح ٢٠٣ وعنه في. المختار الثقفي: ١٢٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٥٩/٢ ط بيروت.

(٣) المصدر السابق .

(٤) العقد الفريد: ٥ / ١٤٣.

والعراق فترة محن واضطرابات، فلم يتحقق في هذه المناطق الهدوء والأمن. وشهد الحجاز هجوم قوات عبد الملك على مكة ومقتل عبد الله بن الزبير، إلا أنّ نصيب العراق من الاضطرابات كان أكبر من المنطقتين السابقتين. ويمكن القول بجرأة أن ما لحق بأهل العراق كان هو النتيجة الطبيعية لدعاء سبط الرسول الأعظم ﷺ عليهم، إذ رفع الإمام الحسين عليه السلام يده بالدعاء في كربلاء وقال: (اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأسا مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا...) (٦).

وانتقم الله تعالى من أهل العراق الذين كذبوا الحسين بن علي عليه السلام وخذلوه بواسطة رجل إرهابي مستبد هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان (لا يصبر عن سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره) (٧).

واتخذ الحجاج سجونا لا تقي من حرّ ولا برد، وكان يعدّب المساجين بأقسى ألوان العذاب وأشدّه، فكان يشدّ على يد السجين القصب الفارسي المشقوق، ويجر عليه حتى يسيل دمه. يقول المؤرّحون: إنّه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهم ستّ عشرة ألف مجرّدات، وكان يجبس الرجال والنساء في موضع واحد (٨) وأحصي في سجنه ثلاثة وثلاثون ألف سجين لم يجسوا في دّين ولا تبعه (٩)، وكان يمرّ على أهل السجن فيقول لهم: (اخسئوا فيّها ولا

- 
- (١) تاريخ الطبري: ٤٥١/٥ وعنه في وقعة الطف: ٢٥٤ وقريبا منه في الإرشاد: ١١٠/٢، ١١١. وليس فيه: سنين كسني يوسف، ولا غلام ثقيف.
- (٢) حياة الحيوان: ١٦٧.
- (٣) حياة الحيوان: ١ / ١٧٠.
- (٤) معجم البلدان: ٥ / ٣٤٩.

## تُكَلِّمُونَ (١).

وقد كان يسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبي ﷺ ويقول: تبا لهم، إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله (٢)؟! وعهد عبد الملك بن مروان بالملك من بعده إلى ولده الوليد، وأوصاه بالإرهاقي الحجاج خيراً، وقال له: وانظر الحجاج فأكرمه، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا متُّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا... (٣).

ومثلت هذه الوصية اندفاعاته نحو الشرّ حتى الساعات الأخيرة من حياته، إذ لم يبق بعدها إلا لحظات حتى وافته المنية، وكانت وفاته في شوال سنة (٨٦ هـ) (٤) وقد سئل عنه الحسن البصري فقال: ما أقول في رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته (٥).

(١) تهذيب التهذيب: ٢ / ٢١٢.

(٢) شرح النهج: ١٥ / ٢٤٢ عن كتاب: افتراق هاشم وعبد شمس للدباس. وقد ورد الخبر قبله في الكامل للمبرِّ: ١ / ٢٢٢. وفي سنن أبي داود: ٤ / ٢٠٩ والبداية والنهاية: ٩ / ١٣١ والنصائح الكافية لابن عقيل: ١١ عن الجاحظ، وفي رسائل الجاحظ: ١٦ / ٢.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٢٠.

(٤) البداية والنهاية: ٩ / ٦٨.

(٥) مروج الذهب: ٣ / ٩٦.

### الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام

وتقلد الوليد أرملة الملك بعد أبيه عبد الملك بن مروان، وقد وصفه المسعودي بأنه كان جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً<sup>(١)</sup>، حتى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكومته، فقال فيه: إنه ممن امتلأت الأرض به جوراً<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد هذا الطاغية الجبار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي أعتى عامل أموي.

وقد كان الوليد من أحقد الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام لأنه كان يرى أنه لا يتم له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين عليه السلام.

فقد كان الإمام عليه السلام يتمتع بشعبية كبيرة، حتى تحدّث الناس بإعجاب وإكبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعمّجت الأنديّة بالتحديث عن صبره وسائر ملكاته، واحتلّ مكاناً كبيراً في قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرف بمقابلته والاستماع إلى حديثه، وقد شقّ على الأمويين عامّة هذا الموقع المتميز للإمام عليه السلام وأقضّ مضاجعهم، وكان

(١) مروج الذهب: ٣ / ٩٦.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك<sup>(١)</sup> الذي كان يحلم بحكومة المسلمين وخلافة الرسول ﷺ .

وروى الزهري: عن الوليد أنه قال : لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا<sup>(٢)</sup> .  
فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام حينما آل إليه الملك، فبعث سماً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسه للإمام عليه السلام<sup>(٣)</sup> ونفذ عامله ذلك، فسَمَت روح الإمام العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعباداتها وجهادها وتجردها من الهوى .  
وقام الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه، وبعد تشييع حافل لم تشهد يثرب نظيراً له؛ وجيء بجثمانه الطاهر إلى بقيع الفرقد، فحفروا قبراً بجوار قبر عمه الزكي الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ . وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جثمان أبيه زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام فواراه في مقرّه الأخير .  
فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم بيعت حيّاً

- 
- (١) هناك من المؤرّخين من يرى أن هشام بن عبد الملك هو الذي دس السم للإمام عليه السلام ، راجع بحار الأنوار: ١٥٣/٤٦ ،  
ويمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما أمراً والآخر منقذاً للجرمة .  
(٢) راجع : حياة الإمام زين العابدين : ٦٧٨ .  
(٣) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٥٣ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ١٩٤ .

## الباب الرابع: فيه فصول:

الفصل الأول: نظرة عامة في مسيرة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين عليه السلام وجهاده.

الفصل الرابع: ظواهر فذة في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الأوّ: نظرة عامة في مسيرة أهل البيت عليهم السلام الرسالية

للوصول إلى التصور الصحيح عن المسيرة الرسالية لأهل البيت عليهم السلام الرسالية لابد أن نجيب على الأسئلة التالية:

١. ما هي الرسالة الإسلامية؟

٢. وما هي الأخطار التي كانت تواجهها؟

٣. وما هي التحصينات التي كان ينبغي اتخاذها ضد تلك الأخطار.

وقبل الإجابة نقول: هناك نظرتان أساسيتان للكون ولموقف الإنسان منه.

النظرة الأولى: أن الكون مملكة للمليك قد يرأب من وراء الستار مراقبة غير منظورة. والإنسان في الكون هو الأمين والخليفة لا الأصيل والمتحكم؛ لأن هذه مملكة غيره بكل ما فيها من وجود بما فيها نفس الإنسان. والإنسان إنما يقوم بأعباء الخلافة والأمانة. وهذه الخلافة والأمانة تستبطن ضرورة استيحاء الأمر والنهي والتدبير والتقدير والتقدم من قبل ذلك المليك القدير. والأمين لابد له أن يطبق على الأمانة التي استؤمن عليها قرارات المالك. فلا بد للإنسان إذن أن يكون رهن أوامر ذلك المليك القدير.

والجزء الآخر لهذه النظرية الأساسية: أن المسؤولية تستبطن الحساب والثواب والعقاب. وهما يستبطنان وجود عالم آخر وراء هذا العالم لتحقيق نتائج هذه المراقبة المستورة. وحينئذ لا يكون الإنسان قيد هذا الشوط القصير في الدنيا، بل يكون رهن خط طويل، وعلى مستوى أهداف كبيرة لا يستطيع هو أن يستنزفها؛ إذ تكون أوسع من عمر الإنسان في هذه الدنيا.

وإذا أصبحت البشرية على مستوى الأهداف الكبيرة . لأنها انطلقت في غاياتها وفي ثباتها إلى أكثر من حدود هذه الدنيا الفانية . حينئذ تستطيع أن تقوم بأعباء تلك الأهداف الكبيرة.

والحضارة الإسلامية عبارة عن هذه النظرة الأساسية بكل شُعبها وفروعها التي ترجع بالنهاية إلى تجسيد كامل للعلاقة مع الله سبحانه وتعالى في تفاعل الإنسان في كل مجالاته الحيوية والكونية.

والنظرة الثانية : هي أن يرى الإنسان نفسه أصيلاً في هذا الكون، وأن هذا الكون غير خاضع لمليك ومراقبة من وراء الستار. وحينما تتركز في نظره هذه الأصالة وهذا الاستقلال بهذا الكون تنعدم المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية بقي عليه هو أن يتحمل المسؤولية بنفسه.

فهو بدلا من أن يشعر بأنه مسؤول ومراقب أمام جهة عليا تضعه أمام أهداف كبرى في سبيل الثواب الكبير والعقاب الكبير، هو يصنع لنفسه المسؤولية. وحينما يتحمل هو وضع المسؤولية تكون هذه المسؤولية نتاج نفسه فينعكس فيما وضعه تمام ما في نفسه، أي تمام المحتوى الداخلي والروحي والحسي بكل ما فيه من نقص وانحراف.

وحينما يريد الإنسان أن يحدد لنفسه مسؤولياته ؛ فإنما يحددها على ضوء أهدافه التي سوف يحددها على ضوء ما يراه من الطريق الذي يريد سلوكه.

وحيث إن طريقه محدود في نطاق المادة فسوف تكون الأهداف على مستوى الطريق المحدود... وحينئذ سوف يخسر القيم الأخلاقية ويتولد عن ذلك . طبعاً . ألوان من الصراع والنزاع بين البشرية.

وجاء الإسلام ليربي الإنسان على النظرية الأولى بحيث تصبح جزء من وجوده وتجري مع دمه وعروقه وفكره وعواطفه وتنعكس على كل مجالات تصرفه وسلوكه مع الله سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع الآخرين.

ولا بدّ للإسلام حينئذ أن يهيمن على هذا الإنسان، وعلى كل طاقاته وعلاقاته ليستطيع أن يربيه؛ وكلما كانت الهيمنة أوسع نطاقاً كانت التربية أكثر نجاحاً. فإن الأب قد لا ينجح في تربية ابنه لأن وجود ابنه ليس كله تحت هيمنته ؛ لأن هذا الابن هو ابنه وابن المجتمع أيضاً مادام يتفاعل معه ويتأثر به ويؤثر فيه ويتبادل معه العواطف والمشاعر والأفكار والانفعالات ، وقد يقيم معه علاقات في الحقول الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك من مجالات حياته، فهو ليس ابنه وحده بل ابن المجتمع أيضاً.

ومن الطبيعي أن يعجز كثير من الآباء عن تربية أبنائهم في المجتمع الفاسد.

إذن فالتربية الكاملة لا تتحقق إلا إذا هيمن المربي على الإنسان هيمنة كاملة، على كل علاقاته الاجتماعية مع غيره بحيث يصبح تمام هذا الوجود تحت سيطرة هذا المربي، فيصير شخص واحد هو الأب وهو المجتمع. وحينئذ يصبح هذا مربيًا كاملاً.

وهذا ما صنعه رسول الله ﷺ حين هيمن على العلاقات الاجتماعية لأنه تزعم المجتمع بنفسه، فأنشأ مجتمعاً وقاده بنفسه ووقف يخطط لهذا المجتمع ويبنى كل العلاقات داخل الإطار الاجتماعي: علاقة الإنسان مع نفسه وعلاقته مع ربه وعلاقته مع عائلته وعلاقته مع بقية أبناء مجتمعه. ولهذا صارت كل هذه الأمور تحت هيمنته وبهذا استكمل الشرط الأساسي للتربية الناجحة<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن النبي ﷺ قد مارس عملية التغيير الشاملة للمجتمع وأعرافه وأنظمتهم ومفاهيمهم، لكن الطريق لم يكن قصيراً أمام عملية التغيير الشاملة هذه، بل كان طريقاً ممتداً بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام، فكان على النبي ﷺ أن يبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاءً جديداً ويجعل منه الإنسان الإسلامي الذي يحمل النور الجديد ويجتث منه كل جذور الجاهلية ورواسبها.

وقد خطا الرسول الأعظم ﷺ بعملية التغيير هذه خطوات مدهشة في برهة قصيرة جداً<sup>(٢)</sup> حتى وأنتجت التربية النبوية إنتاجاً عظيماً وحقت تحولاً فريداً.

ولكن الأمة الإسلامية . ككل . لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير، وهذا الزمن لا يكفي عادةً في منطق الرسائل العقائدية والدعوات التغييرية ليرتفع الجيل الذي عاش في كنف الرسالة عشر سنوات فقط إلى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي والاستيعاب لمعطيات الرسالة الجديدة استيعاباً يؤهله للقيومة على الخط الرسالي وتحمل مسؤوليات الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة تامة ومواصلة عملية التغيير الشاملة بدون قائد رسالي.

بل إن منطق الرسائل العقائدية يفرض أن تمر الأمة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيئها للارتفاع إلى مستوى تلك القيومة<sup>(٣)</sup>.

(١) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ١١٧ . ١٢٢، طبعة دار التعارف.

(٢) بحث حول الولاية: ١٥، طبعة دار التعارف.

(٣) المصدر السابق: ٥٩.

وباعتبار أن الإسلام كان يريد تحقيق أهدافه كاملة كان ينبغي أن يستمر تطبيقه على يد الرسول ﷺ نفسه فيمتد به العمر حتى يستكمل كل الشروط اللازمة للتربية الشاملة في فترة زمنية كافية أو يوكل أمر تطبيق الإسلام إلى من يخلفه من القادة الأكفاء الذين بلغوا درجة العصمة في مستواهم العقائدي والفكري والعملية ليصونوا أمر التربية من أي انحراف أو انهيار.

إذن منطق العمل التغييرية على مسار التاريخ كان يفرض على النبي ﷺ أن يصون تجربته من أي ضعف أو اندحار، وذلك من خلال استمرار الوصاية على التجربة الانقلاية الجديدة وهكذا كان فقد تمثلت مهمة صيانتها للتجربة الفتية في أهل بيته المعصومين عليهم السلام الذين أعدّهم بنفسه إعدادا رساليا وقياديا خاصا ليكونوا قادرين على مواصلة عملية التغيير الشاملة بالشكل المطلوب، والمنسجم مع أهداف الرسالة الكبرى.

الأخطار التي كان يواجهها الإسلام :

لم يكن الإسلام نظرية بشرية لكي تتحدّد فكريا من خلال الممارسة والتطبيق وتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، وإنما هو رسالة الله التي تحدّد فيها الأحكام والمفاهيم وزوّت رتانيا بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة، فلا بدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفصيلها ووعي كامل لأحكامها ومفاهيمها، وإلاّ كانت مضطرة إلى استلهاام مسبقاتها الذهنية ومركزاتها القبليّة وذلك يؤدّي إلى نكسة في مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التي يجب أن تمتد مع الزمن وتتعدى كل الحدود الوقتية والإقليمية

والقومية، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته . التي تشكل الأساس لكل ذلك الإمتداد . تجارب الخطأ والصواب التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار<sup>(١)</sup> .

وقد برهنت الأحداث بعد وفاة الرسول ﷺ على هذه الحقيقة وتجلت بعد نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين الذين لم يُرشدوا من قبل الرسول ﷺ لإمامة الدعوة ولم يكونوا مؤهلين للقيومة عليها .

ولم يمض ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامى فاستطاعوا أن يتسللوا إلى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج ويشغلوا القيادة غير الواعية ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة وأجبروا الأمة وجيلها الطليعي الرائد على النزول عن شخصيته وقيادته وتحولت الزعامة إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبعثر الأموال ويعطل الحدود ويجمد الأحكام ويتلاعب بمقدرات الناس وأصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية<sup>(٢)</sup> .

مضاعفات الانحراف في القيادة الإسلامية :

وهكذا واجه الإسلام بعد النبي ﷺ انحرافاً خطيراً في صميم التجربة الإسلامية التي أنشأها النبي ﷺ للمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية . وهذا الانحراف في التجربة الاجتماعية والسياسية للأمة في الدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الأشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مر الزمن؛ إذ الانحراف يبدأ بذرة ثم تنمو هذه البذرة، وكلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع وأرحب .

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحني طوال

(١) بحث حول الولاية : ٥٧ . ٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ٦٠ . ٦١ .

عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية فتمر التجربة الإسلامية للمجتمع والدولة لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة ومن كل صوب، وتصبح عاجزة عن مواكبة الحد الأدنى من حاجات الأمة ومصالحها الإسلامية والإنسانية.

وحيثما يتسلسل الانحراف في خط تصاعدي فمن المنطقي أن تتعرض التجربة بعد مدى من الزمن لانحيار كامل. إذن الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية لقيادة المجتمع كان من المفروض أن تتعرض كلها للانحيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات وحين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانية البقاء والاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الأمة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الأمة لا تبني من هذه التجربة الخير الذي تفكر فيه ولا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التي تصبو إليها فلا ترتبط بأي ارتباط حياقي حقيقي معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة في مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التي غرست فيها.

### مضاعفات انحيار الدولة الإسلامية:

ومعنى انحيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية وتتخلى عن قيادة المجتمع وتفكك المجتمع الإسلامي، ويُقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع وكقائد للأمة، لكن الأمة تبقى طبعاً، حين تفشل تجربة المجتمع والدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التتري الذي واجهته الخلافة العباسية.

وهذا الانحيار يعني: أن الدولة والتجربة قد سقطت وأن الأمة بقيت، لكن هذه الأمة أيضا بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كأمة تدين بالإسلام وتؤمن به وتتفاعل معه؛ لأن هذه الأمة قد عاشت الإسلام الصحيح زمنا قصيرا جدا وهو الزمن الذي مارس فيه الرسول الأعظم ﷺ زعامة التجربة وبعده عاشت الأمة التجربة المنحرفة التي لم تستطع أن تعمق الإسلام وتعمق المسؤولية تجاه عقيدتها ولم تستطع أن تثقفها وتحصنها وترودها بالضمانات الكافية لئلا تنهار أمام الحضارة الجديدة والغزو الجديد والأفكار الجديدة التي يحملها الغازي إلى بلاد الإسلام. ولم تجد هذه الأمة نفسها قادرة على تحصين نفسها بعد انحيار التجربة والدولة والحضارة بعدما أهينت كرامتها وحطمت إرادتها وغُلت أيديها عن طريق الزعامات التي مارست تلك التجربة المنحرفة وبعد أن فقّدت روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد إخضاعها لزعامتها القسرية.

إن هذه الأمة من الطبيعي أن تنهار بالاندماج مع التيار الكافر الذي غزاها وسوف تذوب الأمة وتذوب الرسالة والعقيدة أيضاً وتصبح الأمة خيراً بعد أن كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ وبهذا ينتهي دور الإسلام نهائياً<sup>(١)</sup>.

لقد كان هذا هو التسلسل المنطقي لمسيرة الدولة والأمة والرسالة بقطع النظر عن دور الأئمة المعصومين الذين أوكلت لهم مهمة صيانة التجربة والدولة والأمة والرسالة جميعاً. ويتلخص دور الأئمة الراشدين الذين اختارهم الله ونص عليهم الرسول ﷺ لصيانة الإسلام وتطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردي في أمرين مهمين وخطّين أساسيين بعد أن كانت التجربة الإسلامية تشتمل على عناصر ثلاثة باعتبارها

---

(١) راجع: أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ١٢٧ - ١٢٩.

عملية تربية تتكوّن من (فاعل) هو المرّبي ومن (تنظيم) تقدّمه الشريعة ومن (حقل لهذا التنظيم) وهو الأمة<sup>(١)</sup>.

والانحراف الذي بدأ يغير هذه العناصر الثلاثة انطلق من افتقاد المرّبي الكفوء للأمة بوفاء سيد المرسلين ﷺ.

وكان انهزام هذا العنصر كفيلاً يهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن مَن جاء بعد النبي ﷺ لقيادة التجربة كفوءاً لقيادتها كالنبي نفسه علماً وعصمةً ونزاهةً وقدرةً وشجاعةً وكمالاً، وإنما تزعمها من لم يكن معصوماً ومنصهراً في حقيقة الرسالة ولم يكن مالكا للضمانات اللازمة لصيانتها من الانحراف عن الخط الذي رسمه رسول الله ﷺ لهذه الأمة، ذلك الانحراف الذي لم يتصور المسلمون مدى عمقه ومدى تأثيره السلبي على الدولة والأمة والشريعة جميعاً على طول الخط؛ إذ لعلمهم كانوا قد اعتبروه تغيير شخص لا تغيير خط.

والخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمّة عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا نشاطهم لهما هما:

١ . خطّ تحصين الأمة ضدّ الانهيار بعد سقوط التجربة، وإعطائها من المقومات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت.

٢ . خطّ محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية ولتتلاحم الأمة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة<sup>(٢)</sup>.

أما الخطّ الثاني فكان على الأئمّة الراشدين ان يقوموا بإعداد طويل المدى له، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب وتتفق مع مجموعة القيم والأهداف والأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم وباسم الله المشعّر للإنسان ما يوصله إلى كماله اللائق.

(١) أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف : ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ٥٩ .

ومن هنا كان رأي الأئمة في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلح الآتي غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبِعصمته إيماناً مطلقاً يعيش أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة من مصالح أرادها الله لها. وأما الخط الأورّ فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة وكان يمارسه الأئمة عليهم السلام حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيئ الإمام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور وهذا الخط هو تعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً للأمة نفسها بغية إيجاد تحصين كاف في صفوفها ليؤثّر في تحقيق مناعتها وعدم انهيارها بعد تردّي التجربة وسقوطها وذلك بإيجاد قواعد واعية في الأمة وإيجاد روح رسالية فيها وإيجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الأمة<sup>(١)</sup>. واستلزم عمل الأئمة عليهم السلام في هذين الخطين قيامهم بدور رسالي إيجابي وفعال على طول الخط لحفظ الرسالة والأمة والدولة وحماتها باستمرار. وكلما كان الانحراف يشتد؛ كان الأئمة يتخذون التدابير اللازمة

---

(١) أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف : ١٣١ - ١٣٢ و ١٤٧ - ١٤٨.

ضد ذلك وكلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها . بحكم عدم كفاءتها . بادر الأئمة إلى تقديم الحلّ ووقاية الأمة من الأخطار التي كانت تهددها . فالأئمة عليهم السلام كانوا يحافظون على المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي إلى درجة لا تنتهي بالأمة إلى الخطر المالحق لها<sup>(١)</sup> .

ومن هنا تنوع عمل الأئمة عليهم السلام في مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات وتعدّد الجوانب والمهام التي تهمهم كقيادة واعية رشيدة تريد تطبيق الإسلام وحفظه وضمان خلوده للإنسانية جمعاء . فالأئمة مسؤولون عن صيانة تراث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأعظم وثمار جهوده الكريمة المتمثلة في:

- ١ . الشريعة والرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله والمتمثلة في الكتاب والسنة الشريفين .
- ٢ . الأمة التي كوّنّها وربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين .
- ٣ . المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو الدولة التي أسسها وشيّد أركانها .
- ٤ . القيادة النموذجية التي حققها بنفسه وربّى من يكون كفوءاً لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين .

لكن عدم إمكان الحفاظ على المركز القيادي الذي رُشّح له الأئمة المعصومون من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانّخبوا لاستلامه ولتربية الأمة من خلاله لا يحول دون الاهتمام بمهمة الحفاظ على المجتمع الإسلامي السياسي وصيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذي يتسنى لهم بالفعل وبمقدار ما تسمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم .

كما أن سقوط الدولة الإسلامية لا يحول دون الاهتمام بالأمة كأمة مسلمة ودون الاهتمام بالرسالة والشريعة كرسالة إلهية وصيانتها من الانهيار والاضمحلال التام .

وعلى هذا الأساس تنوعت مجالات عمل الأئمة جميعاً بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم ومن حيث درجة ثقافة الأمة ومدى وعيها وإيمانها ومعرفتها بالأئمة عليهم السلام ومدى انقيادها للحكام المنحرفين ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي والدولة الإسلامية ومن حيث درجة التزام الحكّام بالإسلام ومن حيث نوع الأدوات التي كان يستخدمها الحكّام لدعم حكمهم وإحكام سيطرتهم .

(١) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف : ١٤٤ .

فللأئمة عليهم السلام نشاط مستمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفة وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلّحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطراً لاحقاً. كثرة الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية. إن كلفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً لاحقاً أمام الكيانات الكافرة.

وكان للأئمة عليهم السلام نشاط مستمر في مجال تربية الأمة عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة المنحرفة أو التيارات السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته، كما قدّموا البديل الفكري والأخلاقي والسياسي للزعامة المنحرفة والذي كان يتمثل في زعامة أهل البيت الأطهار المشروعة، وتصعيد درجة معرفة الأمة لهم والإيمان بهم والوعي اللازم تجاه إمامتهم وزعامتهم.

هذا فضلاً عن نزول الأئمة عليهم السلام إلى ساحة الحياة العامة والارتباط بالأمة بشكل مباشر والتعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت عليهم السلام على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو مجرد الانتماء لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الأمة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها من دون عطاء سخّي منه في مختلف مجالات اهتمام الأمة ومشاكلها وهمومها.

وهكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف إن تشوّهت معالم التطبيق، وتحوّلت الأمة إلى أمة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي الكافر واستطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها على المدى البعيد كما لاحظناه في هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردي.

وقد حقق الأئمة المعصومون عليهم السلام كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البالغ بتربية الكتلة الصالحة التي تؤمن بهم وبإمامتهم فأشرفوا على تنمية وعيها وإيمانها من خلال التخطيط لسلوكها وحمائيتها باستمرار وإسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد على صمودها في خضم الحن وارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي يعيش هموم الرسالة ويعمل على صيانتها ونشرها وتطبيقها ليل نهار.

مراحل حركة الأئمة الطاهرين عليهم السلام:

وإذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت عليهم السلام والظروف المحيطة بهم ولاحظنا سلوكهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلى مراحل وعصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف والمواقف ولكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامة التي تشكل خطاً فاصلاً ومميّزاً لكل عصر.

فالمرحلة الأولى من حياة الأئمة عليهم السلام وهي (مرحلة تفادي صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجسّدت في سلوك ومواقف الأئمة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام فقاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها. وبالطبع إنهم لم يهملوا الأمة أو الدولة الإسلامية بشكل عام من رعايتهم واهتمامهم فيما يرتبط بالكيان إسلامي والأمة المسلمة فضلاً عن سعيهم البالغ في بناء وتكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

وتبدأ المرحلة الثانية بالشرط الثاني من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم عليهما السلام وتميز بأمرين أساسيين:

١. أما فيما يرتبط بالخلافة المزيّفة فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريتها عن التحصينات التي بدأ الخلفاء يحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم طبقة من المحدثين والعلماء (وهم وعباظ السلاطين) لهم وتقديم التأييد والولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة في المرحلة الأولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة وأن يُجسّسوا الأمة بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ . وأما فيما يرتبط ببناء الكتلة الصالحة الذي أرسيت دعائمه في المرحلة الأولى فقد تصدى الأئمة المعصومون في هذه المرحلة إلى تحديد الإطار التفصيلي وإيضاح معالم الخط الرسالي الذي وُثمن الأئمة الأطهار عليهم السلام عليه والذي تمثّل في تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية الإمامية وتربية عدة أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية الإمامية الناصعة في قبال الخط العُلَمائي الخلفائي (وهو خط وعاظ السلاطين).

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق المذهبية التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

والأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا في زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارضة للسلطة ولاسيما بعض الخطوط الثورية منها التي كانت تتصدى لمواجهة من ترَبّع على كرسي خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

وأما فيما يخص المرحلة الثالثة من حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بدء بشرط من حياة الإمام الكاظم عليه السلام وانتهاء بالإمام المهدي عليه السلام فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً في المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت عليهم السلام أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمة عليهم السلام ، وكانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تبعاً لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم.

وأما فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمة عليهم السلام على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من جهة لتحسينها من الانحياز وإعطائها درجة من الاكتفاء الذاتي من جهة أخرى، وكان يقدر الأئمة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين زيفهم ودجلهم واتضح لهم المكانة الشعبية للأئمة الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية والواقعية للأمة الإسلامية.

ومن هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم إرجاع الناس إليهم وتدريبهم على مراجعتهم في قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه والتي أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تحققها وأملت الظروف عليهم الانصياع إليها.

وبهذا استطاع الأئمة عليهم السلام . ضمن تخطيط بعيد المدى . أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتي كانت تنتهي بتنازل الأمة عن الإسلام الصحيح وبالتالي ضمور الشريعة واختيار الرسالة الإلهية بشكل كامل.

فالذي جعل الأمة لا تتنازل عن الإسلام هو أن الإسلام قُدِّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقُدِّمت هذه الأطروحة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

إن هذه الأطروحة التي قَدِّمها الأئمة الطاهرين عليهم السلام للإسلام لم تكن تتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت عليهم السلام فقط، بل كان لها صدى كبير في كل العالم الإسلامي، فالأئمة الأطهار كانت لهم أطروحة للإسلام وكانت لهم دعوى لإمامتهم، وهذه الدعوى وان لم يطلبوا لها إلا عدداً ضئيلاً من مجموع الأمة الإسلامية ولكن الأمة بمجموعها تفاعلت مع هذه الأطروحة التي تُمَثِّل النموذج والمخطط الواضح الصحيح الصريح للإسلام في كل المجالات العامة والخاصة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وخلقياً وعبادياً ... مما جعل المسلمين على مر الزمن يسهرون على الإسلام وقيمونه وينظرون إليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذي كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم<sup>(١)</sup>.

---

(١) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف : ٨٠ . ٧٩ .

## الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام

تبين بوضوح من خلال البحوث السابقة أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد عاش أقسى فترة من الفترات التي يمرّ على القادة من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، لأنه عاصر قمة الإنحراف الذي بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

وذلك أن الانحراف في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام قد أخذ شكلاً صريحاً، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحة أيضاً من قبل الحكّام في مجال العمل والتنفيذ، وانكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ولم يبق ما يستر عورة حكمهم أمام الأمة التي خبرت واقعهم وحقيقتهم المريرة.

وقد عاصر الإمام عليه السلام كل المحن والبلايا التي وقعت أيام جدّه أمير المؤمنين على عليه السلام إذ ولد قبل استشهاد الإمام على عليه السلام وتفتحت عيناه وجدّه عليه السلام في محنته في خط الجهاد مع الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن عليه السلام في محنته مع معاوية وعمّاله وعملائه، ومع أبيه الحسين عليه السلام وهو في محنته الفاجعة إلى أن استقلّ بالحنة وجهاً لوجه، وقد وصلت به الحنة ذروتها عندما رأى جيوش بني أمية تدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وتربط خيولها في المسجد، هذا المسجد الذي كان منطلقاً للرسالة وأفكارها إلى العالم أجمع، وقد أصاب هذا المسجد في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام كثير من الذل والهوان على يد الجيش الأموي الذي أباح المدينة والمسجد معاً، وهتك حرّات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهما جميعاً.

وكان القتل هو أبسط الوسائل التي استعملت في ذلك العصر مع المعارضين، إذ كان التمثيل الانتقامي والصلب على الأشجار وتقطيع الأيدي والأرجل وألوان العقاب البدني لغة الحديث اليومي.

وانغمس الأمويون في الترف، وقد ذكر المؤرّخون نوادر كثيرة من ترفهم وتلاعبهم باقتصاد الأمة وثرواتها<sup>(١)</sup>، حتى بالغوا في هباتهم للشعراء وأجزلوا العطاء للمغنين<sup>(٢)</sup>، وسادت حياة اللهو والعبث والمجون في كثير من أنحاء العالم الإسلامي وخصوصا في مكّة والمدينة، وعمدت السلطات الأموية إلى إشاعة ذلك فيهما لإسقاط هيئتهما من نفوس المسلمين.

لقد شاع الغناء في مدينة الرسول ﷺ بشكل يندى له جبين الإنسان المؤمن بالله وبرسوله، حتى صارت مركزا له.

قال أبو الفرج: إن الغناء في المدينة لا يُكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو يوسف لبعض أهالي المدينة: ما أعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني! ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها<sup>(٤)</sup>!!

وكان العقيق إذا سال وأخذ المغنون يلقون أغانيهم لم تبق في المدينة

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة وتحليل: ٦٦٥.

(٢) الأغاني: ١ / ٥٥، ٤ / ٤٠٠، ٥ / ١١١.

(٣) الأغاني: ٨ / ٢٢٤.

(٤) العقد الفريد: ٣ / ٢٣٣.

محبّاة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج ببصره ليسمع الغناء<sup>(١)</sup>.

نعم غدت المدينة في ذلك العصر مركزاً من مراكز الغناء في الحضرة الإسلامية وأصبحت معهداً متميزاً لتعليم الجوّاري الغناء<sup>(٢)</sup>. بينما كانت الشريعة الإسلامية قد حاربت اللهو والمجون ودعت الإنسان المسلم إلى حياة الجد والاجتهاد والكدح من أجل إعمار حياته الدنيا وحياته الأخرى بالصالحات واستباق الخيرات وتسلق قمم الكمال والحرص على أثن لحظات عمره في هذه الحياة وصيانتها من الضياع والخسران.

أمّا الحياة العلمية في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كانت مشلولة بما حوته هذه الكلمة من معنى، إذ كان الخط السياسي الذي سارت عليه الدولة الأموية منذ تأسيسها يتركز على محافة العلم، وإقصاء الوعي والثقافة من حياة المسلمين، وجزّهم إلى منحدر سحيق من الجهل؛ لأن بلورة الوعي العام وإشاعة العلم بين المسلمين كان يهدد مصالحهم ودوام ملكهم القائم على استغلال الجهل والغفلة التي رجّ لها من تقمّص الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا الطابع الخاصّ للحياة الأدبية فتعرّفه ممّا جرى على لسان شعراء ذلك العصر، فهو لم يمثّل أيّ مشكلة اجتماعية من مشاكل ذلك العصر على كثرتها، كما أنّه لم يمثّل أيّ جدّ في الحياة العقلية والأدبية، وإنّما كان شعراً قبلياً يحكي فيه كلّ شاعر ما امتازت به قبيلته من كرم الضيافة ووفرة المال والعدد، كما غدا الأدب سوقاً للهجاء المرّ والتنازير بالألقاب<sup>(٣)</sup>.

(١) العقد الفريد: ٣ / ٢٤٥ .

(٢) راجع: الأغاني: ٢ / ٢٢٦، ٣ / ٣٠٧، ٤ / ٢٢٢، ٦ / ٢١، ٧ / ٣١٦، و ٨ / ٢٢٧، ١٠ / ٥٧.

والشعر والغناء في المدينة ومكة: ٢٥٠.

(٣) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، دراسة وتحليل: ٦٧٢ - ٦٧٣.

### الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين عليه السلام وجهاده

نجد في سيرة الأئمة عليهم السلام العديد من الأدلة التي أوضحوا من خلالها للناس سبب الاختلاف في أساليبهم في قيادة الحركة الإسلامية من إمام لآخر.

فالإمام السجاد عليه السلام قال له عباد البصري وهو في طريق مكة: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه، و(لِإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَمَبْوَاهُهُمْ) <sup>(١)</sup> فأجابه الإمام عليه السلام: إقرأ بعدها: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)، ثم قال عليه السلام: إذا ظهر هؤلاء. يعني المؤمنين حسب مواصفاتهم في الآية. لم تؤثر على الجهاد شيئاً <sup>(٢)</sup>.

وبهذه الإجابة حدّد الإمام عليه السلام بشكل صارم سياسته ولون كفاحه، ووجهة حركته في عصره، ومن ثم الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلّح والمواجهة العسكرية للحكم الأموي لم تأت حُبّاً في الحياة ونعيمها كما تصوّر عباد البصري، وإنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفرة، ولأنّ النتائج من أيّ تحدّد للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيّة تماماً.

(١) التوبة (٩): ١١١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٤١، ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٧٣ باختلاف يسير في الألفاظ.

وبعد ملحمة كربلاء مباشرة تبنى الإمام السجاد عليه السلام وكرائم أهل البيت كزینب ولمْ كلثوم . عليهم صلوات الله وسلامه . سياسة إسقاط الأقنعة التي كان الأمويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، وحملوا الأمة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة .

ومن هنا نلاحظ بوضوح أن الخطب والتصريحات التي صدرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل أهل البيت عليهم السلام في العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس كمجموع، وإلفات نظر الناس إلى جسامه الخطر الذي حاق بهم، وإلى حجم الجريمة التي ارتكبتها بنو أمية بحق رسالة الله تعالى . وفي الشام ركّزت كلمات الإمام السجاد عليه السلام على التعريف بالسبايا ذاتهم، وأنهم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم فضح الحكم الأموي وتعرّيته أمام أهل الشام الذين أضلّهم عن رؤية الواقع .

وقبل دخوله المدينة عمل الإمام السجاد عليه السلام على إثارة الرأي والوعي العام الإسلامي وتوجيهه إلى حنة الرسالة التي تمثّلت في فاجعة الطفّ، فقد كان خطابه الذي ألقاه بالناس يستبطن هذه المعاني . ولقد أعطت تجربة كربلاء مؤشّراً عملياً على أن الأمة المسلمة في حالة ركود وتبلّد بما جعل الروح الجهادية لديها في حالة غياب إن لم نقل إنّما كانت معدومة نهائياً، ومن أجل ذلك فإنّ السجاد عليه السلام . باعتباره إمام الأمة الذي انتهت إليه مرجعية الأمة . أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، ولذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالي في الأمة، وتوسيع دائرته في الساحة الإسلامية، والعمل على رفع مستوى الوعي الإسلامي والانفتاح العملي في قطاعات الأمة المختلفة، وخلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامي النقي، لا الفكر الذي يُشيعه الحكم الأموي .

ولهذا النهج مبرراته الموضوعية، فإنّ قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكري والاجتماعي توقّرت على صنع أجيال ذائبة في الانحراف، الأمر الذي أصبح فيه من المتعدّر على التيار الإسلامي السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، وتوفّر الغطاء الواقعي لها من مؤسسات وقدرات؛ ولتعرّص التيار الإسلامي ذاته للخسائر المتتالية .

ومن هنا، فإنّ أمر تكثيف التيار الإسلامي وإثرائه كمّاً وكيفاً مسألة لا تقبل التأجيل، ما دام أمر بقاء الرسالة حيّة . فكراً وعملاً . متوقّفاً على بقاء سلامة هذا التيار في كيان الأمة وقواعدها الشعبية، طالما لم يتسن له تسلّم المرجعية العامة في الإدارة والحكم .

ولقد نجحت خطط الإمام عليه السلام على شتى الأصعدة وحسبما خطط لها، وفيما يلي مصداقان عمليان على ذلك:

ففي المجال الاجتماعي أثرت خطة الإمام عليه السلام حيث حظي بإجلال القطاعات الواسعة من الأمة وولائها، والمصادر التاريخية مجمعة على ذلك. قال ابن خلكان: لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، فطاف وجهد أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنُصِب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين عليه السلام بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقيُّ التقى الطاهر العليم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكم
مشقة من رسول الله نبعته	أبت ° طه من الخليم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بإده أنبياء الله قد ختموا
الله شرّفه قديماً وعصره	جرى بذلك له في لوحه القليم
فليس قولك من هذا بضائره	ألعبّر ° تعرف من أنكرت والعجم
من معشر حُبهم دئي ، وبغضهم	كفر ، وقربهم منجى ومعتصم
إن عبد أهل التقى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
أي الخلائق ليست في رقابهم	لؤلؤة هذا أوليه نعيم
من يعفر الله يعفر وألئاة ذا	الدين من بيت هذا نال به الأئم (١)

(١) القصيدة طويلة وهي مذكورة في كثير من المصادر التاريخية والأدبية، أنظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦ / ٩٦، الإرشاد للمفيد: ١٥٠/٢ ، ١٥١ عن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وراجع غيرها من المصادر في أوائل الفصل الأوّ من الباب الأوّ.

إن هذه الحادثة توضّح أن الإمام عليّاً كان قد حظي بولاء جماهيريّ حقيقيّ واسع النطاق، بشكل جعل ذلك الولاء يتجسّد حيّاً حتى في أقدس ساعة، وفي موقف عباديّ مشهود، فما أن تلتقي الجماهير الكثيفة بإمامها الحق؛ حتى توسّع له، لكي يؤدّي مناسكه دون أيّة مضايقة عفوية منها، بالرغم من أنّ الأمة تدرك عداء الحكم الأموي لأهل البيت عليّاً وما يترتّب على ذلك العداء من موقف تجاه أنصار أهل البيت عليّاً وأتباعهم.

وحيقّ النشاط العلمي للإمام عليّاً غاياته المتوخّاة، فالمسجد النبويّ الشريف ودار الإمام عليّاً شهدا طوال خمسة وثلاثين عاماً . وهي فترة إمامته . نشاطاً فكرياً من الطراز الأول، حيث استقطب الإمام عليّاً طلاب المعرفة الإسلامية في جميع حقولها، لا في المدينة المنورة ومكّة المكرمة وحدهما، وإتّما في الساحة الإسلامية بأكملها، حتى استطاع أن يخلق نواة مدرسة فكرية لها طابعها ومعالمها المميّزة، وتخرّج منها قادة فكر ومحدّثون وفقهاء.

إن انفصام عرى الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسين عليّاً وتشتّت قبواهم كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام زين العابدين عليّاً باتجاه استجماع القوى وتكميل الإعداد من جديد، وقد كان هذا الهدف بحاجة إلى إعداد نفسي وعقدي وإحياء الأمل في القلوب وبث العزم في النفوس. وقد تمكّن الإمام زين العابدين عليّاً بعمله الهادئ والمنظّم أن يشرف على تكميل هذه الاستعادة، وعلى هذا الإعداد بكل قوٍّ وبحكمة وبسلامة وجد. وقد أطلق الإمام عليّاً نهماً جهادياً ينهض بأعباء متطلبات المرحلة الخطيرة آنذاك. ويمكن الحديث عن هذا النهج عبر مستويات متعدّدة :

### ١ . الجهاد الفكري والعلمي :

من المعلوم أنّ الفكر السليم هو أحد مقومات كلّ حركة سياسية صحيحة، فتنقيف الجماهير وتوعيتها لتكون على علم بما يجري عليها وحواليها وما يجب لها وعليها من حقوق وواجبات هو الركيزة الأولى لصد الأنظمة الحاكمة الفاسدة التي تسعى على طول التاريخ في إبعاد الناس عن الحق والتعاليم الأصيلة.

وقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بأداء دور مهمّ في هذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوي لرواية الحديث<sup>(١)</sup> فأمر برواية الحديث وحثّ على ذلك، وكان يطبّق السنّة ويدعو إلى تطبيقها والعمل بها، وقد روي عنه قوله عليه السلام: إن أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة وإن قل<sup>(٢)</sup>.

وفي الظروف التي عاشها الإمام عليه السلام . حيث كان الحكماء بصدد اجتثاث الحق من جذوره وأصوله والذي تمثّل في حفظة القرآن ومفسّريه . كانت الدعوة إلى الاعتصام بالقرآن من أهم الواجبات آنذاك، ولقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهد وافر في هذا المجال.

قال عليه السلام: (عليك بالقرآن، فإنّ الله خلق الجنّة بيده لينة من ذهب ولينة من فضة، وجعل ملاطها المسك وترايبها الزعفران وحصاها للؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: إقرأ وارق، ومن دخل الجنّة لم يكن في الجنّة أعلى درجة منه، ما خلا النبيين والصدّيقين)<sup>(٣)</sup>. وكان يقول: (لومات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)<sup>(٤)</sup>.

كما كان يسعى في تمجيد القرآن عملياً وبأشكال مختلفة، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن<sup>(٥)</sup>، كما كان يرشد الأمة من خلال تفسيره للقرآن

(١) كانت عملية منع الحديث . تدوينا ورواية . قد بدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة.

(٢) المحاسن: ٢٢١ ح ١٣٣.

(٣) تفسير البرهان : ٣ / ١٥٦.

(٤) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠٧.

(٥) المصدر السابق : ٧٠ ، ب ٥ ، ح ٤٥.

الكريم<sup>(١)</sup> .

وبذل الإمام عليّ عليه السلام جهوداً جبارة لتثبيت قواعد التوحيد الإلهي وتشديد أركانه عبر الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السليمين، والردّ على الأفكار المنحرفة التي غذّاها الحكّام . مثل فكرة الجبر الإلهي . بهدف التمكن من السلطة والسيطرة التامة على مصير الناس والهيمنة على الأفكار بعد السيطرة على الأفواه والأجسام، وقد ذكرنا أنّ الإمام عليّ عليه السلام قال لابن زياد الذي أراد أن ينسب قتل علي بن الحسين إلى الله: **(اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)** ، فالإمام تحدّى الحاكم في مجلسه حين ردّ على الانحراف العقائدي بتلك الصراحة، وبين الفرق بين التوفّي للأنفس واسترجاعها . الذي نسبه القرآن إلى الله تعالى حين حلول الأجل والموت حتف الأنف . وبين القتل الذي هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المذكور .

وفي جوابه عليّ عليه السلام عن سؤال: أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ قال عليّ عليه السلام: (إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد... والله فيه العون لعباده الصالحين)، ثمّ قال عليّ عليه السلام: (ألا من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدي جوراً)<sup>(٢)</sup> .

وهكذا تصدّى الإمام عليّ عليه السلام لعقيدة التشبيه والتجسيم<sup>(٣)</sup>، وفكرة الإرجاء<sup>(٤)</sup> .

وعلى صعيد الإمامة والولاية أعلن الإمام عليّ عليه السلام عن إمامته بنفسه بكل وضوح وصراحة ومن دون أية تقيّة أو سرّيّة، وقد تعدّدت الأحاديث

(١) الاحتجاج: ٣١٢-٣١٩ .

(٢) التوحيد للصدوق: ٣٦٦ .

(٣) كشف الغمة: ٢ / ٨٩ .

(٤) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٠٧ .

المصرّحة بهذا الإعلان، منها قوله عليه السلام: (نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغرّ المحجلين وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء... ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها، ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله)<sup>(١)</sup>.

وقال أبو المنهال نصر بن أوس الطائي: قال لي علي بن الحسين عليه السلام: (إلى من يذهب الناس؟) قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا، قال: (قل لهم يجيئون إلي)<sup>(٢)</sup>.

وقال له أبو خالد الكابلي: يا مولاي، أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟ قال: (ثمانية لأن الأئمة بعد رسول الله ﷺ اثنا عشر إماماً، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي...)<sup>(٣)</sup>. والانحراف الذي حصل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم ينحصر في إقصائهم عن الحكم والولاية فقط، بل انتهى إلى الجهل بأحكام الشريعة التي كان الأئمة هم المرجع الواقعي والصحيح للتعرّف عليها. فالإمام ليس ولياً للأمر وحاكماً على البلاد والعباد فحسب، وإمّا هو مصدر يرجع إليه لفهم الشريعة وتبيين أحكامها، باعتبار معرفته التامة بالشريعة الخاتمة وارتباطه الوثيق بمصادرها الحقيقية. وكما أفصى الحكماء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الحكم والولاية؛ حاولوا كذلك نفي مرجعيتهم الدينية والعلمية وإبعاد الناس عنهم، لذلك اهتمّ الأئمة

(١) أمالي الصدوق: ١١٢، الاحتجاج: ٣١٧.

(٢) تاريخ دمشق: الحديث ٢١.

(٣) كفاية الأثر: ٢٣٦-٢٣٧.

وأتباعهم بإرشاد الناس إلى هذا المعين الصافي للشرعية الإسلامية كي ينهلوا منه، وكان اهتمام الإمام السجاد عليه السلام بليغاً بهذا الأمر حتى قال عليه السلام لرجل شاحره في مسألة شرعية فقهية: (يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأرينك آثار جبرئيل في رحالنا، أياكون أحدٌ أعلم بالسنة منّا)<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: (إن دين الله لا يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يُصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هُدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه . مما نقوله أو نقضه به . خرجا كافر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم)<sup>(٢)</sup>.

## ٢ . الجهاد الاجتماعي والعملي :

إن أهم أهداف القادة الإلهيين هو إصلاح المجتمع البشريّ بتربيته على التعاليم الإلهية، ولا بدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ والمضني في هذا الطريق الشائك، فعليه:

١ . أن يربّي جيلاً من المؤمنين على التعاليم الحقّة التي جاء بها الدين والأخلاق القيّمة التي ينبغي التخلّق بها، لكي يكونوا له أعواناً على الخير.

٢ . أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله.

٣ . أن يقاوم الفساد الذي يبثّه الظالمون في المجتمع بهدف شلّ قواه، وتفريغها من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحق والخير.

(١) نزهة الناظر: ٤٥ .

(٢) إكمال الدين : ٣٢٤ ، الباب ٣١ ، الحديث ٩ .

كان للإمام عليّ نشاط واسع في كلّ هذه المجالات، بحيث يعدّ . بحقّ . في صدر قائمة المصلحين الإلهيين بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاة بني أمية على الأمة وعلى مقدّراتها وجسم الخلافة الإسلامية التي تقتل من يعارضها وتهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام.

ويمكن الحديث عن أوجه نشاطه عليّ العملي في الجانب الاجتماعي على عتقّ أوجه منها:

أ. الأخلاق والتربية (على مستوى الأمة وأتباع أهل البيت عليّ):

ضرب الإمام زين العابدين عليّ أروع الأمثلة في تجسيد الخلق الحمدي العظيم في التزاماته الخاصة وفي سيرته مع الناس، بل مع كل ما حوله من الموجودات.

فكانت تبلور فيه شخصية القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابلية العلمية الراقية، والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وأناة وهدوء.

فالصبر الذي تحلّى به وتجلّى لنا من خلال ما تحمّله في مأساة كربلاء أكبر شاهد على عظمة صبره. ومثابرتة ومدامته على العمل الإسلامي بارزة للعيان، وهذا الفصل يمثّل جزءاً من نشاطه السياسي والاجتماعي الجاد.

وحديث مواساته للإخوان والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام بالبذل والعطاء والإنفاق ممّا اشتهر عند الخاص والعام.

وحنوّه وحنانه على العبيد وعلى الأقارب والأباعد بل على أعدائه وخصومه ممّا سارت به الركبان. وأخبار عبادته وخوفه من الله جلّ جلاله وإعلانه ذلك في كل مناسبة ملأت الصحف حتى خص بلقب (زين العابدين) و (سيّد الساجدين). وستجدّ عن بعض ذلك فيما بعد بإذنه تعالى، كما أنّنا أشرنا إلى جانب بسيط جله من ذلك سابقاً.

ب . الإصلاح والدولة :

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أن الأئمة من أبناء الحسين عليه السلام قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة، وانصرفوا إلى الإرشاد والعبادة والانقطاع إلى الدنيا<sup>(١)</sup>.

ويدلّلون على قولهم هذا بتاريخ حياة الإمام السجاد عليه السلام ودعوى انعزاله عن الحياة الإسلامية العامة، ويبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئة لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمة بعد الحسين عليه السلام على عمل مسلّح ضد الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقاً لا ينطبق إلا على عمل مسلّح من هذا القبيل.

إن ما يقال من أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من أبناء الحسين عليه السلام اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذّبه وينفيه واقع حياة الأئمة الزاخرة كلّها بالشواهد على ايجابية المشاركة الفعّالة التي كانوا يمارسونها.

فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين عليه السلام بالأمة والزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق والتي كان يتمتّع بها على طول الخط<sup>(٢)</sup>؛ فإن هذه الزعامة لم يكن ليحصل عليها الإمام عليه السلام صدفة أو على أساس مجرد الانتساب إلى

(١) نشأة الشيعة والتشيع، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

(٢) قد أشرنا إلى حادثة استلام الإمام عليه السلام للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحة ١١١ من الكتاب.

الرسول ﷺ ، بل على أساس العطاء والدور الايجابي الذي كان يمارسه الإمام في الأمة بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإنّ الأمة لا تمنح . على الأغلب . الزعامة مجاناً، ولا يمتلك الفرد قيادتها ويحتلّ قلوبها بدون عطاء سخّيّ منه تستشعره الأمة في مختلف مجالاتها، وتستفيد منه في حلّ مشكلاتها والحفاظ على رسالتها.

ومع أن مزاولات الإمام عليه السلام الدينية كلّها من صميم العمل السياسي وخاصة في عصره حيث لم يُسمع نغم الفصل بين السياسة والدين بعد، نجد في طيّات حياة الإمام عليه السلام عيّنات واضحة من التدخّلات السياسية الصريحة، فهو كما يبدو من النصوص الصادرة عنه تجده رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، يدخل محاورات حادّة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطيرة ضد الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمة وإليك بعض النماذج على ذلك:

١ . قال عبد الله بن الحسن بن الحسن : كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد النبي ﷺ بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكروا جور من جار من بني أمية والمقام معهم، فقال عروة لعليّ: يا عليّ، إنّ من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رُجي له أن يسلم ممّا أصابهم.

قال: فخرج عروة، فسكن العقيق.

قال عبد الله بن الحسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة<sup>(١)</sup>.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق : ١٧ / ٢١ .

أمّا الإمام عليّ عليه السلام فلم يخرج، بل آثر البقاء في المدينة طوال حياته؛ لأتبه كان يعد مثل هذا الخروج فرارا من الزحف السياسي وإخلاءً للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصلون<sup>(١)</sup>. ولعل اقتراح عروة بن الزبير - وهو من أعداء أهل البيت عليه السلام<sup>(٢)</sup> - كان تدبيراً سياسياً منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام عليّ عليه السلام عن الحضور في الساحة السياسية والاجتماعية، لكنّه عليّ عليه السلام لم يخرج وظل يواصل مسيرته الجهادية.

٢ . قال عليّ عليه السلام : (إنّ للحق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشّرّ دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدّة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، فنعوذ بالله من تلك الدول ومن الحياة في النقمات)<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت الدولة في اللسان العربي هي الغلبة والاستيلاء . وهي من أبرز مقومات السلطة الحاكمة . فإن الإمام عليّ عليه السلام يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية والطبيعية التي يهتمّ بها ويفكّر في إصلاحها.

فمن يا ترى؟ ومن هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره عليه السلام؟ وهل التعوُّ بالله تعالى من دولة السلطان يعني أمراً غير رفض وجوده والتنديد بسلطته؟ وهل يتصوّر السياسي أن يكون له حضور أقوى من هذا في مثل

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام : ١٥٤ .

(٢) لاحظ تنقيح المقال : ٢ / ٢٥١ .

(٣) تاريخ دمشق : ٤١ / ٤١٠ ، مختصر ابن منظور : ١٧ / ٢٥٥ .

ظروف الإمام عليه السلام وموقعه وضمن تخطيطه الشامل في قيادة حركية الإسلام؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادعى أنه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟.

ج . مقاومة الفساد :

وإذا كان من أهم واجبات المصلح وخاصة المصلح الإلهي مقاومة الفساد ومحاربة المفسدين في الأرض؛ فإن الإمام زين العابدين عليه السلام قام بدور بارز في أداء هذا الواجب.

وقد تميّز عصره عليه السلام بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من العصور، إلا أنّ بروزها في عصره كان واضحاً ومكتفياً، كما أنّ الإمام عليه السلام قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، ممّا أعطاه صبغة فريدة تميّزت في جهاد الإمام عليه السلام وأهمها مشكلة الفقر العام ومشكلة الرق والعبيد. وسنعرض لهما في فصل قادم إن شاء الله تعالى.

### الفصل الرابع: ظواهر فقه في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

تميّزت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بمظاهر فذة، وهي وإن كانت متوفرة في حياة آبائه الطاهرين وأبنائه الأئمة المعصومين عليهم السلام إلا أنّها برزت في سيرته عليه السلام بشكل أكثر وضوحاً وأوسع دوراً، ممّا دعانا إلى تسليط الضوء عليها أشدّ من غيرها، وهي:

أ . ظاهرة العبادة .

ب . ظاهرة الدعاء .

ج . ظاهرة البكاء .

د . ظاهرة الاعتناق .

فإذا سيرنا حياة الأئمة عليهم السلام وجدناهم . كلّهم . يتميّزون في هذه المظاهر على أهل زمانهم، إلا أنّها في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام تجلّت بقوة، حتى كان عليه السلام فريداً في كل منها.

ظاهرة العبادة في حياة الإمام عليه السلام :

أجمع معاصرو الإمام زين العابدين عليه السلام على أنّه كان من أعبد الناس وأكثرهم طاعة لله تعالى، ولم ير الناس مثله في عظيم إنابته وعبادته، وقد بهر بها المتقون والصالحون، وحسبه أنّه وحده الذي قد لُقّب بزین العابدين وسید الساجدين في تاریخ الإسلام.

أمّا عبادته ﷺ فكانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى وكمال معرفته به، وقد عبده لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره، وإنما وجدّه أهلاً للعبادة فعبده، وشأنه في ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين وسيّد العارفين وإمام المتقين، وقد أعرب ﷺ عن عظيم إخلاصه في عبادته بقوله: (إنّي أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلاّ ثوابه، فأكون كالعبد الطامع إن طمع عمل وإلاّ لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل...).

فانبرى إليه بعض الجالسین فقال له: فبم تعبده؟ فأجابه عن خالص إيمانه: (وأعبده لما هو أهله بأياديه وإنعامه)<sup>(١)</sup>.

ولقد ملأ حب الله تعالى قلب الإمام ﷺ وسخر عواطفه فكان مشغولاً بعبادة الله وطاعته في جميع أوقاته، وقد سُئلت جارية له عن عبادته فقالت: أظنّ أو أختصر؟ قيل لها: بل اختصري.

فقالت: ما أتيت به بطعام نهاراً قطّ، وما فرشت له فراشاً بليل، قطّ<sup>(٢)</sup>.  
لقد قضى الإمام ﷺ معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله، مشغولاً تارةً بالصلاة، وأخرى بالدعاء.

---

(١) حياة الإمام زين العابدين: ١٨٧ نقلاً عن تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ.

(٢) الخصال: ٤٨٨.

## عبادة الإمام :

١ . وضوؤه :

الوضوء هو نور وطهارة من الذنوب، والمقدمة الأولى للصلاة، وكان الإمام عليه السلام دوماً على طهارة، وقد تحدّث الرواة عن خشوعه لله في وضوئه، فقالوا: إنه إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلاً: (أتدرون بين يدي من أقوم؟!)(<sup>١</sup>).

٢ . صلاته :

أمّا الصلاة فمعراج المؤمن وقربان كل تقي كما في الحديث الشريف ، وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام عليه السلام فقد اتخذها معراجاً ترفعه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع في الصلاة، ف قيل له في ذلك فقال: (أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟!)(<sup>٢</sup>). ونعرض لبعض شؤونه في حال صلاته.

أ . تطييبه للصلاة:

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته(<sup>٣</sup>).

---

(١) نهاية الإرب : ٢١ / ٣٢٦، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٣٨.

(٢) الخصال : ٢ / ٦٢٠ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ / ٥٨.

ب . لباسه في صلاته:

وكان الإمام عليّ إذا أراد الصلاة لبس الصوف وأغلظ الثياب<sup>(١)</sup>، مبالغة منه في إذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

ج . خشوعه في صلاته :

كانت صلاته تمثل الانقطاع التام إلى الله جلّ جلاله والتجرّد من عالم المادّيات، فكان لا يحسّ بشيء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، ووصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشي لونه بلون آخر، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكان يصليّ صلاة مودّع يرى أنّه لا يصليّ بعدها أبد<sup>(٢)</sup>.

وتحدّث الإمام الباقر عليّ عن خشوع أبيه في صلاته فقال: (كان علي بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه)<sup>(٣)</sup>.

ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق عليّ صلاة جدّه الإمام السجاد عليّ فقال له: إني رأيت عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق عليّ: (والله إن علي بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه...)<sup>(٤)</sup>.

وكان من مظاهر خشوعه في صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠٨ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليّ : ١٩٠ .

(٣) وسائل الشيعة : ٤ / ٦٨٥ .

(٤) المصدر السابق .

يرفض عرق<sup>(١)</sup> أو كأته غمس في الماء من كثرة دموعه وبكائه<sup>(٢)</sup>، ونقل عن أبي حمزة الثمالي أنه رأى الإمام قد صَلَّى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: (ويحك، أتدري بين يدي من كنبه إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه)<sup>(٣)</sup>.

د. صلاة ألف ركعة :

وأجمع المترجمون للإمام عليه السلام أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة<sup>(٤)</sup>، وأنه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين<sup>(٥)</sup> ونظرا لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثغفات في مواضع سجوده كثففات البعير، وكان يسقط منها في كل سنة، فكان يجمعها في كيس، ولما توفي عليه السلام دفنت معه<sup>(٦)</sup>.

هـ. كثرة سجوده :

إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو في حال سجوده كما في الحديث الشريف، وكان الإمام عليه السلام كثير السجود لله تعالى خضوعاً وتذلاً له، وروي: أنه خرج مراً إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده ساجداً على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مراً يقول: (لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً)<sup>(٧)</sup>.

(١) تهذيب الأحكام : ٢ / ٢٨٦ ح ١١٤٦.

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠٨.

(٣) علل الشرائع: ٨٨ ، بحار الأنوار : ٤٦ / ٦١.

(٤) تهذيب التهذيب : ٧ / ٣٠٦ ، نور الأبصار : ١٣٦ ، الإتحاف بحب الأشراف : ٤٩ ، ومصادر أخرى.

(٥) بحار الأنوار : ٤٦ / ٦١ ، الخصال : ٤٨٧.

(٦) الخصال : ٤٨٨.

(٧) وسائل الشيعة : ٤ / ٩٨١.

وكان يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مئة مرّة: (الحمد لله شكراً)، ثمّ يقول: (يا ذا المن الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصيه غيره عدداً، ويا ذا الجود الذي لا ينفد أبداً، يا كريم، يا كريم) ويتضح بعد ذلك ويذكر حاجته<sup>(١)</sup>.

و . كثرة تسبيحه :

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى وتسبيحه وحمده، وكان يسبّح الله بهذه الكلمات: (سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمة، سبحان من قدّر بقوته كلّ قدرة، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شيء يحجبه، سبحان الله وحمده)<sup>(٢)</sup>.

ز . ملازمته لصلاة الليل:

من النوافل التي كان لا يدعها الإمام عليه الصلاة والسلام، فكان مواظباً عليها في السفر والحضر<sup>(٣)</sup> إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

ح . دعاؤه بعد صلاة الليل :

وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليه السلام ، وإليك بعض مقاطعه:

(اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام<sup>(٤)</sup> ومواضي الأزمان والأيام، عزّ سلطانك عزاً لا حدّ له بأولية ولا منتهى له بأخرية، واستعلى ملكك علوّ سقطت الأشياء دون بلوغ أمده<sup>(٥)</sup> ولا

(١) وسائل الشيعة : ٤ / ١٠٧٩ .

(٢) دعوات القطب الراوندي: ٣٤ .

(٣) عن صفة الصفوة : ٢ / ٥٣ وكشف الغمة : ٢ / ٢٦٣ .

(٤) خوالي الأعوام: مواضيها .

(٥) أمده: غايته .

يبلغ أدنى ما استأثرت من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات وتفسّخت<sup>(١)</sup> دونك النعوت، وحارت في كبرياتك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول، وأنا العبد الضعيف عملاً الجسيم أملاً، خرجت من يدي أسباب الوصلات<sup>(٢)</sup> إلا ما وصله رحمتك، وتقطّعت عني عصم<sup>(٣)</sup> الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك، قلّ عندي ما أعتد به من طاعتك، وكثر عليّ ما أبوء<sup>(٤)</sup> به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفوّ عن عبدك، وإن أساء فاعف عني...).

(اللهمّ إني أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك، وتوعّدت بها على من صدق<sup>(٥)</sup> عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهينها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعض، ويصول<sup>(٦)</sup> بعضها على بعض، ومن نار تذر<sup>(٧)</sup> العظام رميماً<sup>(٨)</sup>، وتسقي أهلها حميماً<sup>(٩)</sup>، ومن نار لا تبقي على من تضرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلق سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال<sup>(١٠)</sup> وشديد الوبال<sup>(١١)</sup>...) (١٢).

(١) تفسّخت: أي تقطّعت وتمزّقت وبطلت، فإنك فوق نعت الناعتين.

(٢) الوصلات: وُصلة . بالضم . وهي ما يتوصل به إلى المطلوب، يعني أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الأخروية إلاّ السبب الذي هو رحمتك فإنه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شيء.

(٣) عصم: جمع عصمة، وهي الوقاية والحفظ.

(٤) ما أبوء: أقر وأرجع.

(٥) صدق: خرج وأعرض.

(٦) يصول: من الصولة بمعنى الحملة.

(٧) تذر: تترك.

(٨) رميماً: بالياء.

(٩) حميماً: ماء شديد الحرارة.

(١٠) النكال: العقوبة.

(١١) الوبال: الوحامة وسوء العاقبة.

(١٢) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٣٢.

وذبل الإمام عليّ من كثرة العبادة وأجهدهته أيّ إجهاد، وقد بلغ به الضعف أنّ الريح كانت تميله يمينا وشمالا بمنزلة السنبلة<sup>(١)</sup> التي تميلها الريح.

وقال ابنه عبد الله: كان أبي يصليّ بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه<sup>(٢)</sup>.  
وأشفق عليه أهله ومحّبوه من كثرة ما بان عليه من الضعف والجهد من كثرة عبادته، فكلموه في ذلك لكنّه عليّ أصرّ على شدّة تعبّده حتى يلحق بأبائه، قال له أحد أبنائه: يا أبت كم هذا الدؤوب (يعني الصلاة)؟ فأجابه الإمام عليّ: (أتعجب إلى ربي)<sup>(٣)</sup>.

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري للإمام عليّ: يا ابن رسول الله! أما علمت أن الله تعالى إنّما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟ فأجابه الإمام عليّ: (يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدي رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقلمّ من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الإجتهد له، وتعبّد. بأبي وأمي. حتى انتفخ ساقه وورم قدمه، وقد قيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقلمّ من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: أفلا أكون عبدا شكورا).<sup>(٤)</sup>

فقال له جابر: يا ابن رسول الله، البُغيا على نفسك، فإنّك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم يستكشف الأدواء، وبهم تُستمطر السماء... فأجابه الإمام عليّ: (لا أزال على منهاج أبيّ متأسيا بهما حتى ألقاهما...)<sup>(٤)</sup>.

(١) الإرشاد: ٢٧٢، روضة الواعظين: ١ / ٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦ / ٩٩.

(٣) المصدر السابق: ٤٦ / ٩٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٦١، ١٦٢.

٣ . صومه :

وقضى الإمام معظم أيام حياته صائماً، وقد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: (ما قدّمت له طعاماً في نهار قطّ) وقد أحبّ الصوم وحثّ عليه إذ قال عليه السلام: (إن الله تعالى وكّل ملائكة بالصائمين)<sup>(١)</sup>، وكان عليه السلام لا يفطر إلا في يوم العيدين وغيرهما ممّا كان له عذر.

وكان له شأن خاص في شهر رمضان، أنّه لم يترك نوعاً من أنواع البرّ والخير إلا أتى به، وكان لا يتكلم إلا بالتسبيح والاستغفار والتكبير، وإذا أفطر قال: (اللهم إن شئت أن تفعل فعلت)<sup>(٢)</sup>.

وكان عليه السلام يستقبل شهر رمضان بشوق ورغبة لأنه ربيع الأبرار، وكان يدعو لدى دخول شهر الله تعالى بدعاء نقتطف منه بعض الفقرات، قال عليه السلام: (الحمد لله الذي هدانا لحمده وجعلنا من أهله؛ لتكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين. والحمد لله الذي جانا بدينه، واختصنا بملته، وسبّلنا<sup>(٣)</sup> في سبيل إحسانه، لنسلكها بمنه إلى رضوانه... والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام وشهر الإسلام وشهر الطهور وشهر التمحيص وشهر القيام... اللهم صل على محمد وآله، وألهمنا معرفة فضله، وإجلال حرمة، والتحقّظ ممّا حضرت فيه، وأعنا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك، حتى لا نُصغي بأسماعنا إلى لغو، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو، وحتى لا نيسط أيدينا إلى محظور، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور، وحتى لا تعي بطوننا إلا ما أحلّلت، ولا تنطق ألسنتنا

(١) دعوات الرواندي: ٤ .

(٢) فروع الكافي: ٤ / ٨٨ .

(٣) سبّلنا: أدخلنا.

إلا بما مثّلت، ولا نتكلّف إلا ما يديني من ثوابك، ولا نتعاطى إلا الذي يقي من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّ من رثاء المرثين وبُسمعة المسمعين، لا نُشرك فيه أحداً دونك، ولا نبتغي فيه مراداً سواك ... اللهم اشحنه<sup>(١)</sup> بعبادتنا إِيّاك، وزَيّن أوقاتنا بطاعتنا لك، وأعنا في نهاره على صيامه، وفي ليله على الصلاة والتضرع إليك والخشوع لك والذلة بين يديك حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة ولا ليله بتفريط . اللهم واجعلنا في سائر الشهور والأيام كذلك ما عمّرتنا...<sup>(٢)</sup> .

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام في كل يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة وطبخها... فإذا نضجت يقول: (هاتوا القصاص) ويأمر بأن يُفرّق على الفقراء والأرامل والأيتام حتى يأتي على آخر القدور ولا يبقى شيئاً لإفطاره، وكان يفطر على خبز وتمر<sup>(٣)</sup> .

ومن مَبَرَّت الإمام عليه السلام في شهر رمضان المبارك كثرة عتقه وتحرير أرقائه من رقّ العبودية، على أنهم كانوا يعيشون في ظلاله محترمين، فكان يعاملهم كأبنائه، وكان عليه السلام لا يعاقب أمة ولا عبداً إذا اقترفا ذنباً، وإتّما كان يسجّل اليوم الذي أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذي سجّل فيه ذنوبهم، ويقول:

(ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين! إنّ ربك قد أحصى عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا ما عملناه، ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيت إلاّ أحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً،

(١) أي : أملاه بعبادتنا إِيّاك.

(٢) الصحيفة الكاملة السجادية : الدعاء ٤٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ / ٧٢ .

فاعف واصفح، كما ترحو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنّا تجده عفوًا، وبك رحيماً ولك عفوراً، ولا يظلم ربك أحداً... كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا عليّ بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحَكَم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: (وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) (١).

وكان يلقّبهم بتلك الكلمات التي تمثّل انقطاعه التام إلى الله تعالى واعتصامه به، وهو واقف بيكي من خشيته تعالى ويقول: (ربّ إنّك أمرتنا أن نعو عمّن ظلمنا، وقد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت فاعف عنّا فإنّك أولى بذلك ممّا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوانا، وقد أتيناك سبّلاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فامنن بذلك علينا، ولا تحيّننا فإنّك أولى بذلك ممّا ومن المأمورين، إلهي كزمت فأكرمني، إذ كنت من سؤالك وجُدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم...).

ثم يُقبِل عليهم بوجهه الشريف وقد تبلّل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنان: (قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عني؟ ومّا كان مّي من سوء ملكة، فإنّي مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل...) وينبري العبيد قائلين له: قد عفونا عنك يا سيّدنا، فيقول لهم: (قولوا: اللهم اعف عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق).

فيقولون ذلك، ويقول بعدهم: (اللهم آمين ربّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي) فإذا كان يوم عيد الفطر

(١) سورة النور (٢٤) : ٢٢.

أجازهم جائزة سنّية تغنيهم عمّا في أيدي الناس<sup>(١)</sup>.

٤ . دعاؤه :

أ . دعاؤه في الأسحار :

وكان الإمام عليّ بن أبي طالب ينادي ربه ويدعوه بتضرّع وإخلاص في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي؛ لأنّه هو الذي رواه عنه، وهو من غرر أدعية أهل البيت عليّ بن أبي طالب وهو يمثّل مدى إنابته وانقطاعه إلى الله تعالى كما أن فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها، كما يمتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض، وفيه من التذلل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى ما لا يمكن صدوره إلا عن إمام معصوم.

وقد احتلّ هذا الدعاء مكانة مهمّة في نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين، إذ واظبوا على الدعاء به، ومّا قاله الإمام عليّ بن أبي طالب في دعائه:

(إلهي، لا تؤدّبني بعقوبتك، ولا تمكّر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلا من عندك؟ ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واحترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك...

بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت.

الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني...

أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ أناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت...

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠٣ . ١٠٥ .

يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك يا سيدي لو نهرتني ما برحت<sup>(١)</sup> من بابك ولا كففت عن تملّك<sup>(٢)</sup> لما انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك ...

اللهم إنّي كلّما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت علي ناعسا إذا أنا صلّيت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لي كلّما قلت قد صلّحت سريرتي<sup>(٣)</sup> وقرب من مجالس التوايين مجلسي عرضت لي بلية أزالته قدمي وحالت بيني وبين خدمتك. سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحييتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبينني وبينهم خايتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلك بقلة حياتي منك جازيتني ...

إلهي، لو قرنتني بالأصفاة ومنعتني سيبك<sup>(٤)</sup> من بين الأشهاد ودللت علي فضايحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار؛ ما قطع رجائي منك، وما صرفت تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبك من قلبي ...

أرحم في هذه الدنيا غربتي، وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نُشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي، واغفر لي ما خفي علي الأدميين من عملي، وأدم لي ما به سترتني، وارحمني صريعاً على الفراش، تقلبني أيدي أحبتي، وتفضّل عليّ ممدوداً على المغتسل يقلبني صالح جيرتي، وتحنن عليّ محمولاً قد تناول الأقباء أطراف جنازتي، وجُد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي، وارحم في ذلك البيت

(١) برح المكان ومنه: زال عنه.

(٢) تملّك: التودّد إليك.

(٣) سريرتي: نيتي.

(٤) السّيب: العطاء.

الجديد غربتي، حتى لا أستأنس بغيرك...<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام عليه السلام يتأثر إذا انطوت أيام شهر رمضان؛ لأنه عيد أولياء الله تعالى، وكان يودّعه بدعاء جليل نقتطف منه ما يلي:

(السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد أوليائه.

السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيام والساعات.

السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، ونشرت فيه الأعمال.

السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً، ومرجوّ آلم فراقه.

السلام عليك من أليف آنس مقبلاً فسرّ، وأوحش منقضيّاً فمضّ<sup>(٢)</sup>.

السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذنوب.

السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان.

السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشدّ شوقنا غداً إليك.

اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر<sup>(٣)</sup> من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعد أهله به،

وأجزلهم قسماً فيه، وأوفرهم حظاً منه...<sup>(٤)</sup>.

٥ . حجّه عليه السلام :

وكان يحث على الحج والعمرة بقوله: (حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم،

وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالكم)<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع : مفاتيح الجنان (الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي).

(٢) مض : ألم.

(٣) انسلخ الشهر: مضى.

(٤) راجع : الصحيفة السجادية (الدعاء في وداع شهر رمضان) .

(٥) وسائل الشيعة : ٨ / ٥ .

وقال عليّ: (الحاج مغفور له، وموجوب له الجنة، ومستأنف به العمل، ومحفوظ في أهله وماله)<sup>(١)</sup>.

وقال عليّ: (الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة)<sup>(٢)</sup>.

وكان عليّ يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت الله الحرام ويقول: (استبشروا بالحجّاج إذا قدموا وصافحوهم، وعظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب)<sup>(٣)</sup>.

وحجّ عليّ غير ممّ ماشيا كما حجّ أبوه وعمّه الحسن عليّ، وحجّ على ناقته عشرين حجّة وكان يرفق بها كثيرا.

وقال إبراهيم بن علي: حججت مع عليّ بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب، ثم ردّ يده، وقال: (آه من القصاص...)<sup>(٤)</sup>.

وكان الإمام عليّ إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتف به القرء والعلماء؛ لأنهم كانوا يتزوّدون منه العلوم والمعارف والحكم والآداب، وقال سعيد بن المسيب: إن القرء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب<sup>(٥)</sup>.

وإذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التي يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن الإحرام، وإذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفرّ لونه واضطرب ولم يستطع أن يلبي، فإذا قيل له: ما لك لا تلبيّ قال: (أخشى أن أقول: لبيك،

(١) فروع الكافي: ٢٥٢/٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٢٠٨ ح ٢١٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣٨٦/٩٩ مع اختلاف في اللفظ.

(٤) الفصول المهمة: ١٨٩.

(٥) حياة الإمام زين العابدين عليّ: ٢٢٧.

فيقال لي: لا ليك).

وإذا لبي غشي عليه من كثرة خوفه من الله تعالى، ويسقط من راحلته، ولا يزال يعتربه هذا الحال حتى يقضي حجه<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام عليه السلام إذا أجزَّ مناسكه في البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة. وراه طاووس اليماني في ذلك المكان قائماً وهو يدعو الله ويبكي من خشية الله، فلما فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حالة من الخشوع ولك ثلاثة أمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الثاني: شفاعة جدك، الثالث: رحمة الله.

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: (يا طاووس، أما أنتي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: **(فَبِأَنْبَاءِ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)**<sup>(٢)</sup>. وأما شفاعة جدي، فلا تؤمنني؛ لأن الله تعالى يقول: **(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)**<sup>(٣)</sup>. وأما رحمة الله فالله يقول: **(إِنَّ حَرَّمَ اللَّهُ قَرِيبَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)**<sup>(٤)</sup> ولا أعلم أنتي محسن)<sup>(٥)</sup>.

وقال طاووس: رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فإذا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: (إلهي، غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحة للساثلين، جنتك لغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة) ثم بكى وقال: (أما وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك

(١) نهاية الإرب: ٢١ / ٣٢٦.

(٢) المؤمنون (٢٣): ١٠١.

(٣) الأنبياء (٢١): ٢٨.

(٤) الأعراف (٧): ٥٦.

(٥) بحار الأنوار: ٤٦ / ١٠١.

متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعاني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني...). ثم خرّ إلى الأرض ساجداً، فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعتة في حجري، فوقعت قطرات من دموعي على خدّه الشريف فاستوى جالساً، وقال بصوت خافت: (من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟).

فأجابه طاووس بخضوع وإجلال: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وولده رسول الله. فأجابه الإمام عليه السلام: (هيهات هيهات يا طاووس، دع عنك حديث أبي وأمي وجدّي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: **(فِيهَا نَفْخُ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)**؟ والله لا ينفعك غدا إلا ما تقدّمه من عمل صالح<sup>(١)</sup>.

دعاؤه في يوم عرفة :

وكان الإمام عليه السلام في عرفات يقوم بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، وكان يدعو بدعاء جليل وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليه السلام ، وفيما يلي بعض المقتطفات منه:

(الحمد لله ربّ العالمين، اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض<sup>(٢)</sup> ذا الجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق، ووارث كلّ شيء ليس كمثله

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٦٣، ١٦٤، وبحار الأنوار : ٤٦ / ٨١ .

(٢) بديع السماوات والأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات والأرض بديعة، أي عديمة النظير.

شيء، ولا يعزب<sup>(١)</sup> عنه علم شيء، وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء رقيب. أنت الله لا اله إلا أنت الأحد المتوحد الفرد، وأنت الله لا اله إلا أنت الكريم المتكرم العظيم المتعظم الكبير المتكبر، وأنت الله لا اله إلا أنت العلي المتعال الشديد المحال<sup>(٢)</sup>. أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك، وعجزت الأفهام عن كيفيتك، ولم تدرك الأبصار موضع أينيتك، أنت الذي لا تُحد فتكون محدوداً، ولم تمثل فتكون موجوداً، ولم تلد فتكون مولوداً. لك الحمد حمداً يدوم بدوامك، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك، ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك، ولك الحمد حمداً مع حمد كل حامد. رب صل على محمد وآله صلاة زكية لا تكون صلاة أركى منها، وصل عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها، وصل عليه صلاة راضية لا تكون صلاة فوقها... رب صل على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً يراودتك، وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلك إلى جنتك. اللهم إني أريد دينك في كل أوان يمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره والانتهاج عند نهيه، وألاً يتقدمه متقدماً ولا يتأخر عنه متأخراً، فهو عصمة اللانذرين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين.

وانزع من قلبي حبّ دنيا دنية تنهى عمّا عندك، وتصدّ عن ابتغاء الوسيلة إليك، وتذهل عن التقرب منك، وزين لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار، وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك، وتقطعني عن ركوب محارمك، وتفكّني من أسر العظائم، وهب لي التطهير من

(١) لا يعزب: لا يغيب.

(٢) المحال: الأخذ.

دنس العصيان، وأذهب عني درن الخطايا، وسرلني<sup>(١)</sup> بسربال عافيتك.

ولا تكلني إلى حولي وقوتي دون حولك وقوتك، ولا تخزني يوم تبعثني للقائك، ولا تفضحني بين يدي أوليائك، ولا تنسني ذكرك، ولا تذهب عني شكرك... واجعل رغبتني إليك فوق رغبة الراغبين، وحمدي إياك فوق حمد الحامدين، ولا تحذلني عند فاقتي إليك.

اجعل هيبتي في وعيدك، وحذري من إعدارك وإنذارك، ورهبتني عند تلاوة آياتك، واعمر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك، وتفردني بالتهجد لك، وتجردني بسكوني إليك وإنزال حوائجي بك ومنازلتي إياك<sup>(٢)</sup> في فكاك رقتي من نارك، وإجارتني مما فيه أهلها من عذابك، ولا تذرني في طغياني عامها<sup>(٣)</sup> ولا في غمرتني<sup>(٤)</sup> ساهياً حتى حين، ولا تجعلني عظة لمن اتعظ، ولا نكالا لمن اعتبر، ولا فتنة لمن نظر، ولا تمكر بي فيمن تمكر به، ولا تستبدل بي غيري... واجعل قلبي واثقاً بما عندك، وهمي مستغرقاً لما هو لك، واستعملني بما تستعمل به خالصتك، وأشرب قلبي عند ذهول العقول طاعتك... وصن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين، وذبتني عن التماس ما عند الفاسقين ولا تجعلني للظالمين ظهيراً ولا لهم على محو كتابك يدا ونصيراً...<sup>(٥)</sup>.

دعاؤه يوم عيد الأضحى :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهاال إلى الله والتضرع إليه، طالباً منه أن يتفضل عليه بقبول مناسكه وسائر طاعاته

(١) سرلني: قمصني، والسربال: القميص.

(٢) منازلتي إياك: أي مراجعتي.

(٣) عامها: العمه في البصيرة كالعمرى في البصر.

(٤) ولا في غمرتني: أي إغمائي وغفلتي، ناظراً إلى قوله سبحانه: (فذرهم في غمرتهم حتى حين). المؤمنون (٢٣) : ٥٤ .

(٥) الصحيفة الكاملة السجادية : الدعاء ٤٧ .

وعباداته، وأن يمنحه المغفرة والرضوان، ومن دعائه في هذا اليوم المبارك:  
(اللهم هذا يوم مبارك ميمون والمسلمون فيه مجتمعون.

اللهم إليك تعمدت بحاجتي، وبك أنزلت اليوم فقري وفاقتي ومسكنتي، وإني بمغفرتك ورحمتك أوثق مني بعملتي، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبي، فصلّ على محمد وآل محمد، وتولّ قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها، ويتيسر ذلك عليك، وبفقري إليك، وغناك عني، فإني لم أصب خيراً قط إلا منك، ولم يصرف عني سوءاً قط أحد غيرك، ولا أرجو لأمر آخرتي ودنياي سواك.

اللهم فصلّ على محمد وآل محمد، ولا تخيّب اليوم ذلك من رجائي، يا من لا يُحفيه سائل<sup>(١)</sup> ولا ينقصه نائل، فإني لم آتكَ ثقةً مني بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعاً مخلوق رجوته إلا شفاعاً محمد وأهل بيته صلواتك عليه وعليهم وسلامك، أتيتك مقراً بالجرم والإساءة إلى نفسي، أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين ثم لم يمنعك طول عكوفهم<sup>(٢)</sup> على عظيم الجرم أن عدت<sup>(٣)</sup> عليهم بالرحمة والمغفرة.  
اللهم إن هذا المقام<sup>(٤)</sup> لخلفائك<sup>(٥)</sup> وأصفيائك ومواضع أمثالك<sup>(٦)</sup> في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها<sup>(٧)</sup> وأنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يُجاوز

(١) لا يحفيه سائل: أي لا يستقصيه في السؤال، إذ كلما سأله شيئاً فما بقي عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبة بينهما، لنهاية أحدهما ولا نهاية الآخر.

(٢) عكوفهم: إقامتهم ومواظبتهم.

(٣) أن عدت: أي عن أن عدت، وحذف مثله قياسي، و (أن) مصدرية يعني العود.

(٤) إن هذا المقام: أي مقام صلاة الجمعة أو العيد.

(٥) لخلفائك: أي الأئمة المعصومين عليهم السلام، يعني هم المستحقون لذلك، وأن يكون أزمتهم بأيديهم، فإما يجعلونه لأنفسهم كما في زمن حضورهم وبلد شهادتهم وأمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يروونه أهلاً له عموماً أو خصوصاً، كما في زمن غيبتهم أو تقيتتهم، وفي غير بلد حضورهم.

(٦) ومواضع أمثالك: نصب عطف على (هذا المقام)، و (لخلفائك) متعلق بهذا (المقام)، أو خبر له.

(٧) قد ابتزوها: الابتزاز والبرز: السلب والنزع وأخذ الشيء بجفاء وقهر، والعائد للدرجة أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجة.

المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأتّى شئت...<sup>(١)</sup> .

ظاهرة الدعاء والمناجاة في حياة الإمام عليه السلام:

قال تعالى: (قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَهَسُو<sup>٢</sup> ۖ يَكُونُ لَكُمْ) <sup>(٢)</sup> .

قال السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه في مقام بيان ما تفيد الآية المباركة: فلم يجعل لهم لولا الدعاء محلاً ولا مقاماً فقد صار مفهوم ذلك أنّ محل الإنسان ومنزلته عند الله جلّ جلاله على قدر دعائه وقيّمته بقدر اهتمامه بمناجاته وندائه<sup>(٣)</sup> .

وفي ضوء هذه الحقيقة القرآنية نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يدعو الله تعالى ويناجيه في كل آن وعلى كلّ حال، مجسّداً فقره المطلق إلى الله جلّ جلاله، وهو ما يستبطن قدر الإمام ومكانته باعتبار أنّ المقام عند الله تعالى على قدر دعائه ومناجاته أو على قدر إدراكه لفائقته وحاجته إلى الله عزّ وجلّ، والعمل بما يقتضيه هذا الإدراك من انقطاع تام إلى الله تعالى والإعراض عن كل ما سواه.

ونقتطف هنا بعض النصوص الشريفة من أدعية ومناجات الإمام عليه السلام التي تبين ذروة حالات اليقين والغنى التي يمكن أن يصلها الإنسان إذا رسّخ في عقله وقلبه حقيقة (أن لا مؤثّر في الوجود إلا الله تعالى) فلا يتعلّق قلبه بغيره سبحانه، ولا يرجو شيئاً من سواه تعالى، ولا يحبّ شيئاً غيره ويعمر

(١) الفرقان (٢٥) : ٧٧ .

(٢) فلاح السائل للسيد ابن طاووس : ٢٦ ، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم المقدسة .

(٣) الدعاء : ٤٨ من الصحيفة الكاملة السجادية .

أوقاته كلّها بذكره تعالى والعمل بطاعته :

قال عليه السلام : (اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل سلامة قلوبنا في ذكر عظمتك، وفراغ أبداننا في شكر نعمتك، وانطلاق ألسنتنا في وصف منّتك، اللهم صلّ على محمد وآله، واجعلنا من دعائك الداعين إليك، وهداتك الدالّين عليك، ومن خاصّتك الخاصّين لديك يا أرحم الرحمين)<sup>(١)</sup> .  
إنّه الانقطاع التام والكمال فكرا وذكرًا وسلوكًا وخلقًا لله جل جلاله .

وقال عليه السلام : (كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك؟! وكيف أُمّل سواك والخلق والأمر لك؟! أقطع رجائي منك وقد أوليتني ما لم أسأله من فضلك أم تفقرني إلى مثلي وأنا اعتصم بحبلك؟! يا من سعد برحمته القاصدون، ولم يشق بنقمته المستغفرون، كيف أنساك ولم تزل ذاكري؟! وكيف ألهو عنك وأنت مراقبي؟!)<sup>(٢)</sup> .

لقد انقطع عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ كأعظم ما يكون الانقطاع، فلم يأمل في جميع أموره غيره معتقدا بأن الأمل بما في يد غيره سراب .

وناجى ربّه عزّ وجلّ بقوله عليه السلام : (إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك<sup>(٣)</sup>، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف<sup>(٤)</sup> عوائدك<sup>(٥)</sup>، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك .  
إلهي تصاغر عند تعاضم آلائك شكري، وتضاءل في جنب إكرامك إيتاي ثنائي ونشري<sup>(٦)</sup> .

(١) الدعاء الخامس من الصحيفة الكاملة .

(٢) مناجاة الراجين .

(٣) طولك: فضلك .

(٤) ترادفُ: تتابع .

(٥) عوائدك: جمع عائدة وهي المعروف والمنفعة .

(٦) نشري: يعني هنا بسط الحديث بالمدح .

جَلَلْتَنِي <sup>(١)</sup> نعمك من أنوار الإيمان حلاً، وضربت عليّ لطائف برك من العزّ كلالاً <sup>(٢)</sup>، وقلّدتني منك فلاندا لا تحلّ، وطوّقتني أطواقاً لا تغلّ <sup>(٣)</sup>، فالأوك جمة ضعف لساني عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر؟! فكلمّا قلت: لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول: لك الحمد... <sup>(٤)</sup>.

وهكذا يعلمنا الإمام عليه السلام كيف نشكر الله تعالى على ما أولانا من جزيل النعم، وأنّ الإنسان مهما بالغ في شكره فإنّه عاجز وقاصر عن أداء الشكر.

وقال عليه السلام: (اللهمّ احملنا في سفن نجاتك، وامتّعنا بلذيد مناجاتك، وأوردنا حياض حبّك، وأذقنا حلاوة ودك وقربك، واجعل جهادنا فيك، وهمّنا في طاعتك، وأخلص نيّتنا في معاملتك، فإنّا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت...) <sup>(٥)</sup>.

وهكذا طلب عليه السلام من الله تعالى أن يخلص نيّته في معاملته ويبلغه أعزّ أمانيه وهي ابتغاء رضوانه جلّ جلاله.

وقال عليه السلام: (... إلهي فأسئلك بنا سُبُل الوصول إليك، وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار <sup>(٦)</sup> إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صقّيت لهم المشارب، وبلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم

(١) جَلَلْتَنِي: غطّيتني، وغمرتني.

(٢) كلالا: كلال جمع الكلة وهي بيت أو خيمة رقيقة تُضرب للمبيت تمنع من الذباب والبعض وإتّما ذلك لأرياب النعمة.

(٣) لا تُغلّ: لا تتلم.

(٤) مناجاة الشاكرين.

(٥) مناجاة المطيعين.

(٦) البدار: السباق.

المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب<sup>(١)</sup>، ومألت لهم ضمائرهم من حبك، ورؤيتهم من صافي شريك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا.

فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي<sup>(٢)</sup>، وإلى هواك صبابتي<sup>(٣)</sup>، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك رّوحي<sup>(٤)</sup> وراحتي، وعندك دواء غلّتي، وشفاء غلّتي<sup>(٥)</sup>، وبرد لوعتي<sup>(٦)</sup>، وكشف كربتي<sup>(٧)</sup>...<sup>(٨)</sup>.

وهكذا انقطع عايشي إلى الله جلّ جلاله، وتعلّقت به روحه وعواطفه، فلم يبصر غيره، ولا يجد شافياً لغلّته سواه.

وقال عايشي: (إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنها إلا أمانك، وذلتني لا يعزّها إلا سلطانك، وأمنيتي لا يلبغنيها إلا فضلك، وخلّتي<sup>(٩)</sup> لا يسدّها إلا طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرّجه سوى رحمتك، وضري لا يكشفه غير رأفتك، وغلّتي لا يبردها إلا وصلك، ولوعتي لا يطفئها إلا لقاؤك، وشوقي إليك لا يُبله إلا النظر إلى وجهك، وقراري لا يقرّ دون دنوي منك<sup>(١٠)</sup>).

لقد أبدى الإمام عايشي فقره وفاقته إلى الله سبحانه، وقد هام عايشي بحب

(١) المآرب: جمع مأرب ومأربة أي الحاجة.

(٢) ولهي: تجرّ من شقّ الوجد.

(٣) صبابتي: شوقي.

(٤) الرّوح: الفرح والراحة.

(٥) غلّتي: عطشي الشديد.

(٦) لوعتي: حرقة حزني وهواي ووجدي.

(٧) كربتي: همّي وغمي.

(٨) مناجاة المريدين.

(٩) خلّتي: حاجتي وفقري.

(١٠) مناجاة المفتقرين.

سيّده ومولاه خالق الكون وواهب الحياة، فعقد جميع آماله عليه ورجاه في قضاء جميع أموره كأعظم ما يكون الرجاء.

تجليات العرفان الإلهي :

وقال عليه السلام: (إلهي ما ألدّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك! فأعدنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفك وأصلح عبادك وأصدق طائعيك وأخلص عبّادك)<sup>(١)</sup>.

حقاً إن الإمام زين العابدين عليه السلام سيّد الموحّدين وزعيم العارفين بالله، ولم تكن عبادته تقليداً، وإتّما كانت ناشئة عن كمال معرفته بالله تعالى، وقد أعرب في النص المذكور عن كمال بغيته ألا وهو الإخلاص في عبادته سبحانه وتعالى.

وقال عليه السلام: (إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء<sup>(٢)</sup> والملاء<sup>(٣)</sup> والليل والنهار والإعلان والإسرار، وفي السرّاء والضراء، وأنسنا بالذكر الخفيّ، واستعملنا بالعمل الزكيّ والسعي المرضيّ. أنت المُسيّح في كلّ مكان، والمعبود في كلّ زمان، والموجود في كلّ أوان، والمدعوّ بكلّ لسان، والمعظّم في كلّ جنان<sup>(٤)</sup>، وأستغفرك من كلّ لدّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك...)<sup>(٥)</sup>.

(١) مناجاة العارفين.

(٢) الخلاء: المكان الفارغ الذي ليس فيه أحد.

(٣) الملاء: اجتماع الناس.

(٤) جنان: القلب.

(٥) مناجاة الذاكرين.

ويأخذنا الدهول حينما نقرأ هذا النص السجّادي الذي أعطانا فيه صورة واضحة متميّزة عن تضرّعه وتذلّله أمام الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إن المعرفة الحقيقية بأن الإنسان فقير إلى الله تعالى . كما جسّدته النصوص السابقة . تجعله يلتجئ إليه تعالى دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجاد عليه السلام أدعية في أوقات وحالات متعدّدة بالإضافة إلى ما أوردناه، فله عليه السلام دعاء في الصلاة على محمّد وآله، وفي الصلاة على حملة العرش، وفي اللجوء إلى الله تعالى، وفي طلب الحوائج، وعند المرض، وفي مكارم الأخلاق، ولجيرانه، ولأوليائه، ولأهل الثغور، وفي الاستخارة، وفي التوبة، وإذا نظر إلى الهلال، وفي يوم عيد الفطر، وفي التذلل، وعند الشدّة، وعند ذكر الموت، وفي الرهبة، وفي استكشاف الموم.

وتجلبى من خلال الفصول السابقة أن سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام جمعت له روح الثورة ضد الطغيان والحماس الجهادي إلى جانب المعرفة الإلهية الحقّة وشدّة التعبّد لله جلّ جلاله، فكانت سيرته عليه السلام توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التي تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء والمناجاة من جهة والروح النهضوية والتضحوية من جهة أخرى.

ولعل منشأ تلك التساؤلات هو توهم البعض أن تفرّغهم للجهاد الأكبر ومجاهدة النفس والرياضات الشرعية والممارسات العبادية يغنيهم عن القتال والعمل الثوري والروح الجهادية باعتبارها جهاداً أصغر، إذ يغفلون عن حقيقة هي: أن القيام بالجهاد الأصغر هو أحد المحاور الأساسية للعمل بالجهاد الأكبر في إطاره الأوسع، وأنّ ترك الجهاد ناشئ في معظم الحالات عن هزيمة خفيّة في أحد ميادين الجهاد الأكبر، فالتلازم بين شدّة التقية وشدّة البأس أصيل، إذ يعبر عن حقيقة شمولية الشريعة والدين الإلهي الخفيف لكافة أبعاد حياة الإنسان الفردية والاجتماعية.

فالمعرفة التوحيدية والنهضة صفتان واضحتان جسدهما أئمة أهل البيت عليهم السلام ، إذ لم تخل سيرتهم أبدا من اجتماعهما، ويتضح ذلك من خلال التمعّن في مناجاتهم عليهم السلام وخطبهم في ميادين الحرب ومواقفهم ضد الحكّام المنحرفين، ونلاحظ ذلك عند الإمام السجّاد عليه السلام في روحه الجهادية الناهضة التي لاحظناها من خلال تصريحاته في الشام وفي مجلس يزيد بن معاوية وهو الأسير المكبّل بالسلاسل، والردّ الحاسم منه في دار الإمارة بالكوفة على من هدّه بالقتل بقوله: (أبالقتل تهديّنا وإن كرامتنا الشهادة)<sup>(١)</sup> إن هذه الروح هي التي نطقت بأدعية الصحيفة السجّادية وبالمناجاة الخمس عشرة<sup>(٢)</sup>، وفي هذا خير شاهد على اجتماع روح الحماسة وروح الدعاء والمناجاة والعبادة.

وهذه الحقيقة تُدعِّب دورها إلى أن تحمّل أدعية الإمام عليه السلام جوانب سياسية، وجهادية، واجتماعية، وأخلاقية، إلى جوار جوانبها العقائدية والمعرفية والعبادية، فكانت ذات أهداف تغييرية شاملة. لقد كانت للأدعية السجّادية أبعاد فكرية واسعة المدى بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة تيارات الإلحاد كالتشبيه والجبّار والإرجاء وغيرها ممّا كان الأمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيدا للرجوع عن الإسلام والرجوع إلى الجاهلية الأولى.

وفي حالة القمع والإبادة ومطاردة كل المناضلين الأحرار وتتبع آثارهم

---

(١) نفس المهموم، المحدث القمي: ٤٠٨.

(٢) راجع الفصل الخاص بترائه عليه السلام.

وحنق أصواتهم كان قرار الإمام زين العابدين عليه السلام باتّباع سياسة الدعاء أنجح وسيلة لبث الحقائق وتخليدها، وأّمن طريقة وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتّصال سرّية مكتوبة هادئة موثوقة<sup>(١)</sup>.

ظاهرة البكاء في حياة الإمام عليه السلام :

تختلف دواعي البكاء عند الإنسان، فقد يبكي شوقاً إلى المحبوب، وقد يبكي اعتراضاً وصرخة في وجه النظام الغشوم، ومن هنا يمكن تفسير وفهم ما جاء من: (أن البكاء على الإمام أبي عبد الله الحسين وسيد الشهداء عليه السلام من عوامل السعادة الخالدة والزلفى إلى المهيمن سبحانه). ولم يزل خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يبكيه في بيته وفي المسجد وحده تارة ومع أصحابه تارة أخرى، ويجيب من يسأله قائلاً: (أخبرني جبرئيل بقتل ولدي الحسين في جماعة من أهل بيته وأراني التربة التي يقتل فيها)<sup>(٢)</sup>.

مضافاً إلى ما في البكاء عليه من التعريف بالقساوة التي استعملها الأمويون ولفيفهم، ومن هنا كان الأئمة يحنّون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطفّ واستدرار الدموع لكارثتها المؤلمة، وأكثروا من بيان الأجور المترتبة عليه إلى حد بعيد.

وغير خفي أن إكثار الإمام زين العابدين عليه السلام من البكاء على أبيه سيد الشهداء طيلة حياته لم يكن لمحض الرقة والعاطفة، بل إنّه عليه السلام لاحظ به غاية سامية وهي تعريف الأجيال المتعاقبة الواعية لهذا الخطب الجليل وهو عليه السلام شاهد حال بما جاء به الأمويون من القساوة والفضاعة وخروجهم عن الدين والشريعة وتنمّرهم تجاه العدل والمروءة والإنسانية...

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام : ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) كشف الغمة : ٢ / ١٢٠٧.

لقد بكى على أبيه المتهتمّ التي عاش فيها حتى قال له مولاه: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَعَلَّمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنفتني العبرة<sup>(١)</sup>.

وقال له آخر: أما أن لحزنك أن ينقضي؟ فقال عليه السلام: (ويلك لقد شكّا يعقوب إلى ربّه في أقل ممّا رأيت حين قال: (بِأَسْفَى) ولم يفقد إلا ابنا واحدا وهو حي في الدنيا وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي)<sup>(٢)</sup>.

وكان عليه السلام إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكّر عطش أبيه ومن معه فيبكي حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له في ذلك يقول: (كيف لا أبكي وقد مُنِعَ أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش والسيّاح)<sup>(٣)</sup>. وكثيرا ما كان يحدث أصحابه بفوائد الحزن في مصابهم والبكاء على ما انتابهم من الحن فيقول: (أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خدّه؛ يؤهّ الله في الجنة غرفا)<sup>(٤)</sup> فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجّج في الأفئدة نارا لما ارتكبه أولئك الطغاة من الجرائم والمآثم، يأبى الحنان البشري أن يكون صاحبها إنساناً فضلاً عن أن يقود أمةً أو يرأس رعيّةً، فضلاً عن أن يكون خليفة في دين أو متبعا في دنيا.

وحيث لم تسعه المجاهرة بمواقف من اغتصبهم الخلافة الإلهية وحرّ إليهم الويلات ونكّل بهم؛ اتخذ عليه السلام البكاء طريقاً لتنبية الناس بتلكم الجرائم، وهذا منه أكبر جهاد ناجع في تحطيم عرش من أهلك الحرث والنسل وعات في البلاد فساداً وخبالاً، فكان بكاءه متمماً للنهضة المقدسة.

(١) أعيان الشيعة : ١/٦٣٦ ، سيرة علي بن الحسين عليه السلام بكاءه على أبيه.

(٢) المصدر السابق .

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠٨ عن مناقب آل أبي طالب : ٤/١٧٩ و ١٨٠ وعن حلية الأولياء : ٣/١٣٨.

(٤) راجع : ثواب الأعمال : ٨٣ .

وقد سبقته إلى هذا الجهاد الأكبر جدته الصديقة الزهراء عليها السلام وحاولوا إسكاتهما معتذرين بأن نفوسهم لا تطيب بطعام ولا شراب وعزيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تنوح الليل والنهار فلم تهدأ عن البكاء، فاضطر سيد الأوصياء عليه السلام إلى إخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتا من جريد النخل سمّاه (بيت الأحران)، فإن الغرض تعريف الأمة من كان مستحقا للخلافة الإلهية وقد اغتصبت منه. فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثة عليه، وبهذا التفحص تتجلى لهم الحقيقة ويسطع بصيص من ألق الحق المحجوب بظلم الجائرين...<sup>(١)</sup>.

لقد كان البكاء واحدا من الأساليب التي جعلها الإمام السجاد عليه السلام وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء، كما استعمل أساليب أخرى: منها: زيارة الحسين عليه السلام والحث عليها.

قال أبو حمزة الثمالي: سألت علي بن الحسين عن زيارة الحسين عليه السلام فقال: (زره كل يوم، فإن لم تقدر فكل جمعة، فإن لم تقدر فكل شهر، فمن لم يزره فقد استخف بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٢)</sup> !

---

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام للسيد الموسوي المقم: ٣٦٠ . ٣٦٥، نشر دار الشبستري للمطبوعات. وفي النص مقاطع أخذها من مصادر أخرى ذكرها في الكتاب.

(٢) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ٢٢٠.

ومنها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين عليه السلام للسجود عليه<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه عليه السلام كان يتختم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

ظاهرة الإعتاق في حياة الإمام عليه السلام:

العتق ظاهرة فريدة جاءت بها الشريعة الإسلامية، وقد اعتنى بها الأئمة الأطهار اعتناء تاماً، إلا أن تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بالخصوص بشكل ليس له مثيل في تاريخ الإمامة، فهو أمر يسترعي الانتباه والملاحظة الفاحصة.

وإذا دققنا في الظروف والملابسات التي عاشها الإمام عليه السلام وقمنا ببعض المقارنات بين أعماله عليه السلام والأحداث التي كانت تجري من حوله والظروف التي اكتنفت عملية الإعتاق الواسعة التي تبناها الإمام عليه السلام؛ اتضحت الصورة الحقيقية لأهدافه عليه السلام من ذلك.

فيلاحظ أولاً: أن أعداد الرقيق والعبيد كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل على أثر توالي الفتوحات.

ثانياً: كان الأمويون ينتهجون سياسة التمييز العنصري، إذ كانوا يعتبرون الموالي شبه الناس<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: أن الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية ابتداء من الخليفة نفسه ومروراً بالأمرء والوزراء وانتهاء بموظفي الدولة كانوا لا يمثلون الإسلام، وإنما كانوا بالضد والنقيض مع أحكامه وأخلاقه وآدابه وإن كانت تلهج ألسنتهم باسمه وتعلق بشهادته.

(١) بحار الأنوار: ٤٦ / ٧٩، باب ٥، ح ٧٥.

(٢) نقش الخواتيم للسيد جعفر مرتضى: ١١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ١٧ / ٢٨٤.

رابعاً: أن انتشار العبيد والموالي وبالكمّ الكثرة ومن دون أي تحصين أخلاقي أو تربية إسلامية كان يؤدّي إلى شيوع البطالة والفساد، وهو ما ترمي إليه الدولة الظالمة.

ويلاحظ فيما يتّصل بالإمام عليّ:

١ . أن الإمام عليّ كان يشترى العبيد والإماء ولكن لا يُبقي أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة فقط، وهذا يعني أنّه كان مستغنياً عن خدمتهم، فكان يعتقهم بحجج متعدّدة وفي مناسبات مختلفة.

٢ . أن الإمام عليّ كان يعامل الموالي . لا كعبيد أو إماء . بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يعزّز في نفوسهم الأخلاق الكريمة ويحبّب إليهم الإسلام وأهل البيت عليّ .

٣ . أن الإمام عليّ كان يعلم الرقيق أحكام الدين ويغذّيهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّناً بالمعلومات التي تفيده في حياته ويدفع بها الشبهات ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

٤ . كان الإمام عليّ يزوّد من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع ليزاول الأعمال الحرّة كأبي فرد من الأمة، ولا يكون عالّة على المجتمع.

فالإمام عليّ كان يستهدف إسقاط السياسة التي كان يزاولها الأمويون في معاملتهم للرقيق، فقد حقّق عمل الإمام عليّ النتائج التالية:

أ . حرّر مجموعة كبيرة من عباد الله وإماءه الذين وقعوا في الأسر، وتلك حالة استثنائية، ومع أنّ الإسلام كان قد أقرّها لأمر يعرف بعضها من خلال قراءة التأريخ الإسلامي، إلّا أنّ الشريعة وضعت طرقاً عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استفاد الإمام عليّ من كل الظروف والمناسبات لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء، ففي عمل الإمام عليّ تطبيق للشريعة الإسلاميّة.

ب . إن الرقيق المعتقين يشكّلون جيلاً من الطلّاب الذين تربوا في بيت الإمام عليّ وعلى يده بأفضل صورة، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحقّ والمعرفة والصدق والإخلاص وتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة.

فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكلّ ذلك في قرارات نفوسهم، في شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال اللاحقة، وفي ذلك حفظ للإسلام المحمدي الذي كُلف أهل البيت عليّ مسؤولية حفظه وإيصاله إلى الأجيال اللاحقة.

ولا ريب أن الإمام عليه السلام لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس فلا بد أنه كان يواجه منعا من الجهاز الحاكم أو عرقلة لعمله أو رقابة شديدة في أقل تقدير، بينما كان حُرّاً في هذا المجال عن طريق توظيف ظاهرة طبيعية وعادية وهي شراء الرقيق وعتقهم في ذلك الظرف الذي كان يستساغ فيه مثل هذا العمل.

ج . لقد استقطب الإمام عليه السلام ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالي المحرّرين، إذ لا يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام عليه السلام ولا يُبعد فيه إذا لاحظنا من يُعتق مع من يرتبط به من أعضاء أسرته وعائلته وأقربائه الذين سوف يوجدون ويرتبطون به عاطفياً وعقائدياً وسياسياً بشكل طبيعي.

## الباب الخامس: فيه فصول:

الفصل الأول: من تراث الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثاني: رسالة الحقوق.

الفصل الثالث: في رحاب الصحيفة السجادية.

الفصل الرابع: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام.

الفصل الأول: من تراث الإمام زين العابدين عليه السلام

لم يذكر التاريخ أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد تميّزوا بعلومهم الزاخرة ومعارفهم الباهرة والتي ظهر شيء منها في الأوساط التي اكتنفتهم ونقل لنا بعض ما ظهر منهم. كما أجمع المؤرّخون على أن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية في أكثر من مجال علمي.

إن الإمامة والقيادة الرشيدة للأمة الإسلامية وللإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربانية تتطلب إحاطة الإمام بكل علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة بشكل عملي قد سجّله التاريخ لنا بكل وضوح، ممّا أدى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت عليهم السلام ولا سيّما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمة أندادا لهم لا يضاھيهم ند ولا شريك باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختبار الأئمة عليهم السلام في أكثر من مجال وفي أكثر من عصر، بحيث سجّلت هذه الاختبارات في التاريخ الإسلامي ودخلت مصادر التاريخ، ولم تترك مجالاً للريب في جدارة الأئمة من أهل البيت للقيادة الربانية، باعتبار ما أثبتوه للأمة بكل وضوح وحققوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكل من حاول اختبارهم وأراد الاطلاع على واقع عملهم.

وقد جاء في نصوص الأحاديث الشريفة أنّ المؤمن ينظر بنور الله، وهو تعبير آخر عمّا جاء في قوله تعالى: **(مَنْ تَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُوا اللَّهَ)** <sup>(١)</sup>، فلا بُد فيما يعتقدّه الشيعة الإمامية في أئمتهم عليهم السلام من أنّهم مُلهمون بإلهام إلهي وتعليم ربّاني، وقد ورّثهم الرسول صلى الله عليه وآله علمه وأدبه وكماله، وهم أهل بيت الوحي والرسالة، فهم أجدد من غيرهم بوراثة العلم والكمال الربّاني المتبلورين في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله القيادية وفي شخصيّة كل إمام من أهل البيت عليهم السلام الذين عينهم الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله لتلك المهمّة الكبرى والمسؤوليّة العظمى، وقد قال تعالى: **(مَنْ يَطِّقْ نَهْجَ هَيْجِ \* نَبِيٍّ هُوَ إِلَّا وَجِي**

**يُوحَى)** <sup>(٢)</sup>.

إن العلماء الذين تتلمذوا على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ورووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمة وتميّزها عن علوم غيرهم ممّن عُرفوا بالعلم والدراية. ويمكن أن نصنّف بعض ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام إلى علوم القرآن والحديث والفقّه والأخلاق والسيرّة والتاريخ والعقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه في طيّات أدعيته ووصاياه واحتجاجاته في علوم النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد إلى غيرها من العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة. ونعرض بإيجاز صورة عن معارفه وعلومه التي سجّلتها لنا التاريخ.

(١) البقرة (٢) : ٢٨٢.

(٢) النجم (٥٣) : ٤ - ٣.

## في رحاب القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الخالص والمعجزة الخالدة لنبيّ سيّد المرسلين وشريعة خاتم النبيين والنبوع الثرّ لكلّ علم ومعرفة، وعنه قال رسول الله ﷺ: (إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)<sup>(١)</sup>.

وقد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام كتابه الكرام . بشكل ملفت للنظر . بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّيراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أن الإمام عليه السلام كان هو القرآن الناطق والتجسيد الحي لكل آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن بالإضافة إلى ما مرّ في البحوث السابقة.

قال عليه السلام: (اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته، وفضّلته على كل حديث قصصته، وفرقناً فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فضّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة

(١) راجع مصادر وأسانيد ونصوص هذا الحديث الشريف والمتواتر عند الفريقين في الأعداد ٤ إلى ٩ من مجلة رسالة الثقلين، وحديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: ٩ .

بآتباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط<sup>(١)</sup> لا يحيف<sup>(٢)</sup> عن الحق لسانه، ونور هدىً لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ من أم قصد سنّته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته.

اللهمّ فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسي ألسنتنا<sup>(٣)</sup> بحسن عبادته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضّحات بيّناته، اللهم إنك أنزلته على نبيّك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألهمته علم عجائبه مكملًا، وورثتنا علمه مفسّرًا وفضّلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله فصل على محمد الخطيب به وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتى لا يعارضنا الشكّ في تصديقه، ولا يختلجنا الزيف عن قصد طريقه<sup>(٤)</sup>.

إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سليل النبوة في هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره وهي:

- ١ - إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدي به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضّح به القصد.
- ٢ - إنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال.

(١) القسط: العدل.

(٢) لا يحيف: لا يميل.

(٣) جواسي: جمع جاسية وهي الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

(٤) الصحيفة السجادية: من دعائه في ختم القرآن (٤٢).

- ٣ . إن الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العبر منهم.
- ٤ . إنّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ودستوراً عاماً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويعرب عن شرائع الأحكام، ويفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموضاً.
- ٥ . إن الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نورا يُهتدى به في ظلم الضلالة والجهالة كذلك جعله شفاء من الأمراض والعاهات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه.
- ٦ . إنّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ عن الحقّ، ولا اتّباع لهوى، وإنّ من تمسّك به واعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه، ونجا من الهلاك.
- ٧ . طلب الإمام عليّ من الله جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته والإقرار بمتشابهاته.
- ٨ . إن الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهم عجائب ما في القرآن الكريم وعلمه تفسيره، كما أشاد بأئمة الهدى من عترة الرسول ﷺ الذين رفعهم الله عزّ وجلّ وأعلى درجاتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلاء على كتابه.
- نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عليّ :
- كان الإمام عليّ من ألمع المفسرين للقرآن الكريم، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، ويقول المؤرّخون أنّه كان صاحب مدرسة

لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن<sup>(١)</sup> كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام الذي رواه عنه زياد بن المنذر<sup>(٢)</sup> الزعيم الروحي للفرقة الجارودية. وهذه نماذج من تفسيره عليه السلام لكتاب الله العزيز.

١ . روى الإمام محمد الباقر عن أبيه عليه السلام ، في تفسير الآية الكريمة: (لَيَّيْ بَرَأْنَكُمْ الْأَرْضَ ° فِرْشَاً)<sup>(٣)</sup> ، أنه سبحانه وتعالى جعل الأرض ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ<sup>(٤)</sup> والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم<sup>(٥)</sup>، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيبتكم وقبور موتاكم، ولكنه عزَّ وجلَّ جعل فيها من المتانة<sup>(٦)</sup> ما تنتفون به، وتتماسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثم قال عزَّ وجلَّ: (وَلَسَّمَاءَ بِنَاءً) أي سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثم قال عزَّ وجلَّ: (وَنَزَّ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً) يعني المطر ينزله من عل ليلبغ قلال جبالكم وتلالكم وأوهادكم<sup>(٧)</sup> ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً<sup>(٨)</sup> لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٢ / ٢ .

(٢) حياة الإمام الباقر عليه السلام: ١ / ١١، نقلاً عن الفهرست للشيخ الطوسي: ٩٨ .

(٣) البقرة (٢): ٢٢ .

(٤) الحمأ: شتَّى حرارة الشمس .

(٥) تعطبكم: أي تهللكم .

(٦) المتانة: ما صلب من الأرض وارتفع .

(٧) الأوهاد: الأرض المنخفضة .

(٨) الهطل: المطر الضعيف الدائم .

واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال عزَّ وجلَّ: (فَأَخْرِجْ بِهِ مِنَ النَّمْرِ زَوْجًا لَكُمْ) يعني ممَّا يخرج من الأرض رزقاً لكم (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْهَادًا) أي أشباهها وأمثالا من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء (مَنْ يَنْتَبِهُ تَعْلَمُونَ) أنَّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

وحوث هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام أروع أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدلل الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلق السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تنور هذه الأرض بأشعتها.

إنَّ أشعة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنَّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنَّ الأثر التام في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلّا في هذه العصور الحديثة، إلّا أنَّ الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه، فكان حقاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٢٥ - ١٢٦. طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت .

وأعطى الإمام عليه السلام صورة متميزة عن الأمطار، وأنها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث والنسل. وبعدها أقام الإمام الأدلة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعي، لأنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك أي قدرة في إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه.

٢ . فسّر عليه السلام الآية الكريمة: (اذْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَفَّةٍ) <sup>(١)</sup> بقوله: (السلم هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام) . ولا شك أن ولاية الإمام أمير المؤمنين وباب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله هي السلم الحقيقي الذي ينعم الناس في ظلاله بالأمن والرخاء والاستقرار، ولو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لما داهمتهم الأزمات في حياتهم السياسية والاجتماعية.

٣ . روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) <sup>(٢)</sup> أنه قال: (إني ضامن على ربّي تعالى أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب تعالى)، وكان يقول: (ليس من شيء إلا وكلّ به ملك، إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله تعالى) <sup>(٣)</sup> .

٤ . سأل رجل الإمام زين العابدين عليه السلام عن الحق المعلوم الذي ورد في قوله تعالى: (مَلَكَيْنِ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ \* لِلنَّائِلِ مَلَكٌ مَعْرُومٌ) <sup>(٤)</sup> ، فقال عليه السلام :

- 
- (١) البقرة (٢) : ٢٠٨ .  
(٢) تفسير البرهان : ١ / ١٢٩ .  
(٣) التوبة (٩) : ١٠٥ .  
(٤) تفسير البرهان : ١ / ٤٤١ ، تفسير الصافي: ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٣ .  
(٥) المعارج (٧٠) : ٢٤ و ٢٥ .

(الحق المعلوم الشيء الذي يخرج من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين)، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال عليه السلام: (يصل به رحماً، ويقوي به ضعيفاً، ويحمل له كله، أو يصل أخاً له في الله، أو لثابة تنويه) وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء<sup>(١)</sup>.  
٥. فسّر الإمام عليه السلام الآية الكريمة: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)<sup>(٢)</sup> بأنه العفو من غير عتاب<sup>(٣)</sup>.  
في رحاب الحديث الشريف:

للحديث الشريف أهمية بالغة في العلوم الإسلامية، فقد بُني معظم الفقه الإسلامي عليه، فإنّه يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكره والإباحة، كما يذكر أجزاءها وشروطها وموانعها وسائر ما يعتبر فيها، ويعرض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصّصها ويقيدّها، وبالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك وقواعد الأخلاق، ويعطي البرامج الوافية لسعادة الإنسان وبناء شخصيته.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام في عصر التابعين من أعظم الرواة وأهمهم فضلاً عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام والمعارف الإلهية باعتقاد الشيعة الإمامية باعتبار أن أحاديث الأئمة عليهم السلام هي أحاديث رسول الله ﷺ، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (علّمني رسول الله ألف باب

(١) لآلئ الأخبار: ٣ / ٣، وسائل الشيعة: ٦ / ٦٩.

(٢) الحجر (١٥): ٨٥.

(٣) وسائل الشيعة: ٥ / ٥١٩.

من العلم فتح لي من كل باب ألف باب<sup>(١)</sup>. وأبّد التاريخ هذا المعنى فيما روي عن عليّ عليه السلام من العلوم والمعارف وأقرّت الصحابة بفضل عليّ وبمرجعيتّه العلمية هو والأئمّة من بنيّه، ولا غرو في ذلك بعد أن جعلهم الله أبواب الهدى وسفن النجاة كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)<sup>(٢)</sup>.

والنصوص التي وصلتنا عن الإمام زين العابدين عليه السلام قد صرّح في بعضها بأنّها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلاً عمّا رواه عن أبيه الحسين عليه السلام. وقد اعتنى أئمّة الحديث بأحاديثه اعتناءً فائقاً باعتباره الرائد العلمي في عصر التابعين، ولولا مدرسته العلمية وجهوده الثقيفية المباركة؛ لاندurst أعلام الدين في عصر طغت فيه الميوعة ورُجّبت فيه الشهوات، وأريد للأمة الإسلامية أن تعود إلى جاهلية جهلاء.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٣ / ١١.

في رحاب أصول العقيدة ومباحث الكلام :

كان الإمام عليه السلام في زمانه وحيد عصره في الإجابة على الأسئلة العقائدية المعقدة ولا سيما ما تعرضت له الأمة الإسلامية من تيارات فكرية مستوردة أو دخيلة تحاول زعزعة كيان العقيدة الخالصة كمباحث القضاء والقدر والخير والاختيار التي ظهرت بوادرها في حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذت بالنمو والانتشار بحيث شكّلت ظاهرة فكرية تستدعي الانتباه وتتطلب العلاج.

وبرز الإمام علي بن الحسين عليه السلام على الصعيد العلمي بروزاً جعله مناراً يشار إليه، وآمن به المسلمون جميعاً حتى قال الزهري عنه: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفضقه منه.

وقد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصر الإمام من خلفاء بني أمية . وهم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم في الخلافة والسلطان . حتى قال عبد الملك ابن مروان للإمام زين العابدين عليه السلام : ولقد أوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤتته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك. ووصفه عمر بن عبد العزيز بأنه سراج الدنيا وجمال الإسلام.

ومّا ورد عنه في القضاء والقدر أن رجلاً سأله: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم

بعمل؟

فأجابه عليه السلام : (إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما، والله

فيه العون لعباده الصالحين) ثم قال عليه السلام:

(ألا إنَّ من أجهل الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إنَّ للبعد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً؛ فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه) ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: (هذا منه، هذا منه)<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام في بيان استحالة أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن:

(لا يوصف الله تعالى بالمحدودية عظم الله ربنا عن الصفة، وكيف يوصف بمحدودية من لا يُحدّد، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)<sup>(٢)</sup>؟

الإمام زين العابدين عليه السلام ينص على الأئمة من بعده ويبشّر بالمهدي عليه السلام:

١. روى عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري حديثاً طويلاً جاء فيه: أن رسول الله ﷺ أشار إلى سبطه الحسين قائلاً لجابر: (ومن ذرّيّة هذا رجل يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...)<sup>(٣)</sup>.

٢. وقال عليه السلام عن المهدي عليه السلام: (إن الإسلام قد يُظهِره الله على جميع الأديان عند قيام القائم)<sup>(٤)</sup>.

٣. وقال عليه السلام: (إذا قام القائم؛ أذهب الله عن كل مؤمن العاهة ورد إليه قوّته)<sup>(٥)</sup>.

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦. ٣٦٧ منشورات جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة .

(٢) حياة الإمام زين العابدين: ٣٠٤ .

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي (عج): ٣ / ١٩٠ .

(٤) المصدر السابق: ٣ / ١٩١ .

(٥) المصدر السابق: ٣ / ١٩٣ .

٤ . وذكر عليه السلام أن سنن الأنبياء تجري في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم : فمن آدم ونوح طول العمر، ومن إبراهيم خفاء الولادة واعتزال الناس، ومن موسى الخوف والغيبة، ومن عيسى عليه السلام اختلاف الناس فيه، ومن أيوب الفرج بعد البلوى، ومن محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخروج بالسيف (١) .

٥ . وقال عن خفاء ولادته على الناس: (القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة) (٢) .

٦ . وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي (٣) قال:

دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله! أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال لي: (يا أبا كنكر! إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أنبىة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا)، ثم سكت .

فقلت له: يا سيدي! روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (لا تخلو الأرض من حجة لله على عباده) فمن الحجة والإمام بعدك؟

قال: (ابني (محمد) واسمه في التوراة (باقر) يقرر العلم بقراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)) .

فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه: (الصادق)، وكلّكم صادقون؟

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي (عج) : ٣ / ١٩٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي : ١ / ٦٠ قال: (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر. ثم قال: وفي خبر الحواريين أنه من حوارى علي بن الحسين عليه السلام وقد شاهد كثيرا من دلائل الأئمة عليهم السلام .

فقال: (حدثني أبي عن أبيه أن رسول الله قال: (إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذبا عليه، فهو عند الله (جعفر الكلاب) المفترى على الله، المدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله).

ثم بكى عليّ بن الحسين بكاء شديداً، ثمّ قال: (كأنّي بجعفر الكلاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، والمغيّب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه).

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن؟

فقال: (أي وربّي إنّه المكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله ﷺ).

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟

قال: (ثمّ تمتد الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده، يا أبا خالد! إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً). وقال عليه السلام: (انتظار الفرّج من أعظم الفرّج)<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج: ٢ / ٤٨ . ٥٠ . احتجاجات الإمام علي بن الحسين عليه السلام .

في رحاب الفقه وأحكام الشريعة:

كانت الحلقة الدراسية التي أسَّسها الإمام زين العابدين عليه السلام حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض فيها الإمام من علومه وعلوم آباءه الطاهرين ويمرّن الناجحين منهم على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين. واستقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسنة حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب.

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفدّ الذي تخرّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية. وقد قال عنه الزهري: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه<sup>(١)</sup>. وعدّه الشافعي أفقه أهل المدينة.

وروى المؤرّخون: أن الزهري كان يعترف بالفضل والفقه للإمام علي بن الحسين عليهما السلام وكان ممّين يرجع إليه في ما يهتمّ من الأحكام الشرعية، وروي أنّه رأى في منامه كأنّ يده مخصوبة، وفسّرت له رؤياه بأنّه يبتلى بدم خطأ، وكان في ذلك الوقت عاملاً لبني أمية، فعاقب رجلاً فمات في العقوبة،

---

(١) راجع ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودي: ٢٧.

ففرع وحاف من الله، وفرّ هارباً فدخل في غار يتعبّد فيه، وكان الإمام عليّاً قد مضى حاجباً إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقيل له: هل لك في الزهري حاجة؟ فأجابهم إلى ذلك، ودخل عليه فرآه فزعاً خائفاً، قانطاً من رحمة الله، فقال عليّاً له: (إنّي أخاف عليك من القنوط ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بديّة مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك).

فاستبشر الزهري وقال له: فرّجت عني يا سيدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء<sup>(١)</sup>. ودخل الزهري مع جماعة من الفقهاء على الإمام زين العابدين عليّاً فسأل الإمام الزهري عمّا كانوا يخوضون فيه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم واجب إلا شهر رمضان.

فنعى عليهم الإمام عليّاً قلّة معلوماتهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين، وبيّن لهم أقسام الصوم قائلاً: (ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها صومهم حرام، وأربعة عشر وجهاً صيامهم بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه، وصوم التّأدبّ وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض).

وبهر الزهري وبقية الفقهاء من سعة علم الإمام عليّاً وإحاطته بأحكام الدين، وطلب منه الزهري إيضاح تلك الوجوه وبيانها، فقال عليّاً: (أما الواجب فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً، وصيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، واجب، قال الله تعالى: (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَرِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ... ) مسلّمة إلى أهله. إلى قوله: (مَنْ ° يَجِدُ

(١) تاريخ دمشق: ٣٦ / ١٦ ، بحار الأنوار: ٤٦ / ٧ .

صَدَّ تَمَّ مَهْرَيْنِ يَتَتَّيْنِ ٥ (١) .

وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار<sup>(٢)</sup> لمن لم يجد العتق. قال الله تعالى: (وَلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ  
عُوقُونَ حِمَاً لَوْ لَحِرُوا مِنْهُ لَكُنْتُمْ بِهِ كُفَرًا وَعُقُوا هِيَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ \* مَنْ ٥  
يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ يَتَتَّيْنِ ٥ مِنْ قَبْلُ نَأْ يَتَمَاسَا) (٣) .  
وصيام ثلاثة أيام: (مَنْ ٥ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) (٤)، كل ذلك تنابع وليس  
بمفترق.

وصيام أذى الحلق (حلق الرأس) واجب، قال الله تبارك وتعالى: (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه  
ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)<sup>(٥)</sup>، وصاحبها فيها بالخيار بين صيام ثلاثة أيام أو صدقة أو نسك.  
وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي، قال الله تبارك وتعالى: (مَنْ ٥ بِعِيَ بِالْعُرَّةِ إِلَى الْحَبِجِّ فَبِمَا  
اسْتَسْرَنَ لَهْيِي مِنْ ٥ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ) (٦) .  
وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله تبارك وتعالى: (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ  
النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عِلْمٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ وَأَكْفَاؤُهُ طَعَامَ مَسَاكِينَ وَأَعْلَى ٥ ذَلِكَ صِيَامًا) (٧) (٨) .

(١) النساء (٤) : ٩٢ .

(٢) الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي .

(٣) المجادلة (٥٨) : ٤ - ٣ .

(٤) المائدة (٥) : ٨٩ .

(٥) البقرة (٢) : ٩٦ .

(٦) البقرة (٢) : ١٩٦ .

(٧) المائدة (٥) : ٩٥ .

(٨) المقنعة، الشيخ المفيد: ٣٦٣ .

ثم قال عليه السلام: (أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياما يا زهري؟) فقال: لا أدري، قال عليه السلام: (تقوم الصيد قيمة ثم تفضي تلك القيمة على البئر، ثم يكال ذلك البئر أصواعاً، فيصوم لكل نصف صاع يوماً. وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب<sup>(١)</sup>).

وأما الصوم الحرام فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وثلاثة أيام من أيام التشريق<sup>(٢)</sup> وصوم يوم الشك أمرنا به ونهينا عنه، أمرنا أن نصومه من شعبان ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس). والتفت الزهري إلى الإمام عليه السلام قائلاً: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال عليه السلام: (ينوي ليلة الشك أنه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضر).

وأشكل الزهري على الإمام: كيف يجزي صوم تطوع عن فريضة؟ فأجابه الإمام عليه السلام: (لو أن رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدري ولا يعلم أنه من شهر رمضان ثم علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأن الفرض إنما وقع على اليوم بعينه).

ثم استأنف الإمام حديثه في بيان أقسام الصوم قائلاً:

(وصوم الوصال حرام<sup>(٣)</sup>، وصوم الصمت حرام<sup>(٤)</sup>، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام.

وأما الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين

(١) الاعتكاف إنما يجب بعد مضي يومين منه فيتعين اليوم الثالث، وكذلك يجب بالنذر وشبهه.

(٢) أيام التشريق: هي أيام منى وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر بعد يوم النحر.

(٣) صوم الوصال: وهو أن يصوم الليل والنهار، وحرمة حرمة تشريعية.

(٤) صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، وقد كان الكلام محرماً على الصائم في الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك في قصة مرتب، قال تعالى: (إِنِّي نَذِيٌّ لِلرَّحْمَنِ صَبُؤًا فَلَمَّا أَكَلَمَ النَّبِيَّ إِنْسَانِيًّا) إلا أنه نسخ في الشريعة الإسلامية المقدسة.

وصوم الأيام البيض<sup>(١)</sup> وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان ويوم عرفة ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وأما صوم الإذن فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، والعبد لا يصوم تطوعاً إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن مضيفه، قال رسول الله ﷺ: فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم. وأما صوم التأديب فإنه يؤمر الصبي إذا راهق تأديباً وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلّة أول النهار، ثم قوي بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً، وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض.

وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب أو تقيأ من غير تعمد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه.

وأما صوم السفر والمرض فإن العامة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك، لأن الله عزّ وجلّ يقول: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...)<sup>(٢)</sup>.

وانتهى هذا البحث الفقهي الذي ألقاه الإمام على العلماء والفقهاء، وقد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة وفروع الفقه، فقد فرّج على الصوم هذه الفروع المهمة التي غفل عنها العلماء، ومن الجدير بالذكر أن فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية في فتاواهم بأحكام الصوم.

(١) الأيام البيض: وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضاً لأنّ القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها. جاء ذلك في مجمع البحرين (مادة: بيض) .

(٢) فروع الكافي: ١ / ١٨٥، الخصال: ٥٠١ - ٥٠٤، تفسير القمي: ١٧٢ - ١٧٥، المقنعة: ٥٨، التهذيب: ٤٣٥/١.

حقائق علمية في الأدعية السجادية :

بالرغم من أن الصحيفة السجادية وُظِّفت أَدْعِيَتِهَا لِتَرْبِيَةِ الْإِنْسَانِ وَتَرْشِيدِ حَرَكَتِهِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَلَكِنَّهَا تَضَمَّنَتْ جَمَلَةً مِنَ الْحَقَائِقِ

العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية وشموخ مقامه العلمي . كما تَضَمَّنَتْ خُطْبَ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعَاءَ عَرَفَةَ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَسَمًا كَبِيرًا مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ . فِيمَا يَرْتَبِطُ بِتَرْكِيبَةِ الْإِنْسَانِ الْجَسْمِيَّةِ وَكَيْفِيَّةِ خَلْقِهِ أَوْ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ الْأُخْرَى الْأَرْضِيَّةِ وَالسَّمَاوِيَّةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (سِحَانُكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّمَاوَاتِ ، سِحَانُكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْأَرْضِينَ ، سِحَانُكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، سِحَانُكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ ، سِحَانُكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْفِيءِ وَالْهَوَاءِ)<sup>(١)</sup> .

كُلُّ ذَلِكَ فِي عَصْرِ لَمْ تَكُنْ مِثْلَ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ مَطْرُوحَةً فِي الْأَوْسَاطِ الْعِلْمِيَّةِ فِي دُنْيَا الْإِسْلَامِ أَوْ غَيْرِهَا .

وَأَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى إِمْكَانِيَّةِ وَجُودِ الْجُرَاثِيمِ فِي الْمِيَاهِ وَالْأَطْعَمَةِ فِي دَعَائِهِ لِأَهْلِ الثَّغُورِ ، دَاعِيًا عَلَى الْأَعْدَاءِ : (اللَّهُمَّ وَامْزِجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ ، وَأَطْعِمْتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ)<sup>(٢)</sup> .

وَتَجَدَّ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَدْعِيَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِشَارَاتٍ وَاضِحَةً إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ .

---

(١) الدعاء ٥١ من الصحيفة الثانية التي جمعها الشيخ الحر العاملي .

(٢) دعاءه لأهل الثغور في الصحيفة الكاملة أو الجامعة .

## أدب الإمام زين العابدين عليه السلام :

ن للإمام سجد وفّر لي تلخ نبيّ ضخم يجيء . من حيث الكم . بعد الإمام على عليه السلام كما يجيء . من حيث الكيف . متميّزاً بسمات خاصة، وفي مقدمة ذلك أدب الدعاء الذي منحه السجاد عليه السلام خصائص فكرية وفنّية تفرّد بها<sup>(١)</sup>.

اتّجه الإمام في أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفة، وإلى بناء الشخصية الإسلامية في المستويين الفردي والاجتماعي، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيدا للحركة الإسلامية مقابل الأدب الدنيوي الذي بدأ ينحرف مع انحرافات السلطة، وينحدر إلى ما هو عابث ومظلم ومنحرف<sup>(٢)</sup>. وجاء في الصحيفة السجّادية الجامعة نقلا عن الأصمعي أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة ويقول: (نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحيّ القيوم، غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين).

ثم أنشأ يقول:

يا كاشف الضر والبلى مع السقم	يا من يُجيب دعاء المضطر في الظلم
وأنت وحدك يا قيوم لم تنم	قد نام وفيد حول البيت قاطبة
فأرحم بكائي بحق البيت والجرم	أدعوك ربّ دعاء قد أمرت به
من يُود على العاصين بالنعيم	إن كان عفوك لا يرجوه ذو سبور

(١ و ٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٥٣ .

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام.

كما جاء فيها عن طاووس اليماني أنه قال: رأيت في جوف الليل رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

ألا يا أيها المأمول في كل حاجة  
ألا يا رجائي أنت كاشف كُربتي  
فزادي قليل لا أراه مبلّغي  
أتيت بأعمال قباح رديّة  
أتحرفني في النار يا غاية المني  
قال: فتأملته فإذا هو علي بن الحسين عليهما السلام.

شكوت إليك الضُّبر فاسمع شكاي  
فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي  
أللزد أبكي أم لبعد مسافتي  
فما في الوري خلق جنى كجنايتي  
فأين رجائي منك، أين مخافتي؟

ومن أدبه المنظوم أيضاً ما ذكره أحمد فهمي محمد في كتاب الإمام زين العابدين عن فضل أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم:

لنحـن على الحـوض رـوّد  
وما فاز من فاز إلا بنا  
ومن سرّنا نال منّا السرور  
ومن كان غاصبنا حقّنا  
احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام :

نـذود ونسـقي وراده  
وما خـاب مـن حـبنا زأده  
ومـن ساءنا ساء مـيـلاده  
فيوم القـيامـة مـيعـاذه

إن فن الاحتجاج والمناظرة العلمية فن جليل لما ينبغي أن يتمتع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقة ولياقة أدبية.

وقد تميّز أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفن، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب في أئهم مؤيدون بتأييد ربّاني، وكما عبر بعض أعدائهم: أئهم أهل بيت قد رُقوا العلم رُقاً.

وقد جمع العلامة الطبرسي جملة من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والزهراء عليها السلام والأئمة الاثني عشر عليهم السلام في كتابه المعروف بالاحتجاج، ونشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام.

١ . جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا علي بن الحسين! إن جلدَّ علي بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عيننا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثمَّ ضرب بها علي الحصى، ثم قال:

(يا أبا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلما وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه، وقد علمت صاحبة الجذب والمستحفظون من آل محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا علي لسان النبي الأمي، وقد خاب من افتري).

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين! إن جلدَّ كان يقول: (إخواننا بغوا علينا).  
فقال علي بن الحسين عليه السلام: (أما تقرأ كتاب الله (مِثْلُ عِبَادِ أَجَاهُمْ هُودَا) فهم مثلهم أنجى الله عبْرَ وجلَّ هودا والذين معه وأهلك عادا بالريح العقيم)<sup>(١)</sup>.

٢ . وعن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين عليه السلام فقال له: جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: (يَجْعَلْنَا يَنْهَمُ بِرَنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا

(١) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام.

تَجَاهِ لِحَيْهِ ۖ يَا مَعْ آمِينَ (١).

قال له عليّ: (ما يقول الناس فيها قبلكم؟).

قال: يقولون إنّها مكّة.

فقال عليّ: (وهل رأيت السرقة في موضع أكثر منه بمكّة).

قال: فما هو؟

قال عليّ: (إنّما عنى الرجال).

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال عليّ: (أو ما تسمع إلى قوله عزّ وجلّ: (وَكَايِّنَ مِنَ قَرْيَةٍ عَتَبْتَ عَنِ أَمْرِ رَبِّهَا وَمُسْبِلِهِ) (٢) وقال:

(وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكَ بِأَهْمٍ لَمَّا ظَلَمُوا) (٣) وقال: (مُسْبِلًا الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا مَلْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) (٤)

أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال عليّ: (أو ما تسمع إلى قوله: (تَرَوْا تَجَاهِ لِحَيْهِ ۖ يَا مَعْ آمِينَ) (٥)).

قال عليّ: (آمنين من الزيغ) (٥).

٤ - وروي: أن زين العابدين عليّ مرّ بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمعى، فوقف عليّ عليه ثم قال:

(أمسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضها لنفسك فيما

(١) سبأ (٣٤) : ١٨ .

(٢) الطلاق (٦٥) : ٨ .

(٣) الكهف (١٨) : ٥٩ .

(٤) يوسف (١٢) : ٨٢ .

(٥) الاحتجاج ٢ : احتجاجات الإمام زين العابدين عليّ .

بينك وبين الله إذا نزل بك غده<sup>(١)</sup>.

قال: لا.

قال: (أفتحفظ نفسك بالنحو<sup>٢</sup> والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟)

قال: فأطرق ملياً ثم قال: إني أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: (أفترجو نبياً بعد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون لك معه سابقة؟).

قال: لا.

قال: (أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟).

قال: لا.

قال: (أفرايت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك على حال لا ترضاها ولا تحفظ

نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبياً بعد محمد، ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد

إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس)، قال: فلما ولي عَلِيٌّ قال الحسن البصري: من هذا؟

قالوا: علي بن الحسين.

قال: أهل بيت علم، فما رُئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس<sup>(١)</sup>.

٥. وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عَلِيٌّ يجلس رجلاً من قريش قال:

لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشياً منذ خلق وخلقت إلا في الأرض، وذلك بعد ما تاب الله

عليه، قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم

وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشياً في الحل، ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثم يرجع إلى فناء البيت.

(١) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين عَلِيٌّ.

قال: فولد لآدم من حواء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، فولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فأول بطن ولدت حواء (هاييل) ومعه جارية يقال لها: (أقليما)، قال: وولدت في البطن الثاني (قاييل) ومعه جارية يقال لها: (لوزا)، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال): فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أريد أن أنكحك يا هاييل لوزا، وأنكحك يا قاييل أقليما.

قال قاييل: ما أرضى بهذا، أتكنحني أخت هاييل القبيحة، وتكنح هاييل أختي الجميلة؟ قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قاييل على لوزا وخرج سهمك يا هاييل على أقليما زوّجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال: فخرج سهم هاييل على لوزا أخت قاييل، وخرج سهم قاييل على أقليما أخت هاييل، قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثم حمّ الله نكاح الأخوات بعد ذلك).

قال: فقال له القرشي: فأولدهما؟

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال علي بن الحسين: (إن المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله).

ثم قال له علي بن الحسين عليه السلام: (لا تنكر هذا، إنّما هي الشرائع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلّها له؟! فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك)<sup>(١)</sup>.

٦ . روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام أرسل محمّد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به ثم قال:

(١) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام.

يابن أخي! قد علمت أن رسول الله كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك صلى الله عليه وسلم وصلّي عليه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك، وأنا في سنيّ وقدمتي أحقّ بها منك في حدائقك، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: (اتق الله ولا تغرّ ما ليس لك بحق، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبقى إلا أن يجعل الوصية والإمامة إلاّ في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك).

قال الباقر عليه السلام: (وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد:

إبدأ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سلّه، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليه السلام:  
(أما إنك يا عم لو كنت وصيًا وإمامًا؛ لأجابك).

فقال له محمد: فادع أنت يابن أخي، فدعا الله علي بن الحسين عليه السلام بما أراد ثم قال: (أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا بلسان عربي مبين من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي)، فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه الله بلسان عربي مبين فقال:  
اللهم إنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرف محمد وهو يتولّى

علي بن الحسين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عليه السلام قال:  
(نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجلين، وموالي  
المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع  
على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات  
الأرض ولو لا ما في الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها).

ثم قال: (ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو  
إلى أن تقوم الساعة من حجة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله).

من غرر حكم الإمام عليه السلام ومواعظه:

قد عرفت أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يترك مدينة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله بل بقي مرابطاً فيها  
مشغولاً بتربية الأمة تربية فكرية وأخلاقية، وكان كلّ جمعة يعظهم ويحدّثهم من الدنيا وحبائلها ومكائدها  
التي جعلت كثيراً من أهل عصره في أسرها، ومما قاله في التحذير من الدنيا والتزهيد فيها <sup>(٢)</sup>:

١ . (كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت  
وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها <sup>(٣)</sup> الهامد <sup>(٤)</sup>  
وهشيمها البائد غداً، واحذروا ما حدّركم الله منها،

(١) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام .

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّبي: ١٨٢ - ١٨٤ / ط . مؤسسة الأعلمي . بيروت .

(٣) الحطام: القشر، والمعنى: أن ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى ولا يبقى .

(٤) الهامد: اليابس .

وازهّدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدّها داراً وقراراً<sup>(١)</sup>، وبالله إنّ لكم ممّا فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها<sup>(٢)</sup> وتغيّر انقلابها ومثلاثها وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه).

٢ . الوصيّة بالتقوى والإنابة إلى الله تعالى والتحذير من معونة الظلمة :

(فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم على ما قد فرط بالأمس في جنب الله، وضيع من حقّ الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنّهم، وتباعدوا من ساحتهم).

٣ . موالاة أولياء الله عزّ وجلّ :

(وأعلموا أنّ من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبد بأمره دون أمر وليّ الله في نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حرّ النار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثم تحشرون، فانتمنعوا بالعظة، وتأدّبوا بأداب الصالحين).

٤ . (إن علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كلّ خليط<sup>(٣)</sup> وخلييل، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا وإنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت أهبتة، الحاثّ على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بد

(١) القرار: ما نُر فيه أي فعل فيه السكن أو السكون.

(٢) تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه .

(٣) خليط : مُخالط، مُجالس .

من لقاته، وتقديم الحذر قبل الحين، فإن الله عز وجل يقول: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) <sup>(١)</sup>، فليتنزل أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقتة).

٥ . واعلموا عباد الله أنه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد، وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ ويحك يابن آدم من خوف بيات سلطان رب العزة، وأخذه الأليم، وبياته لأهل المعاصي والذنوب مع طوارق المنيا بالليل والنهار، فذلك البيات الذي ليس منه منجى، ولا دونه ملجأ ولا منه مهرب، فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإن الله يقول: (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) <sup>(٢)</sup>، فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشورها، وتذكروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإن زينتها فتنة وحبها خطيئة.

٦ . (فاتقوا الله عباد الله وتفكروا، واعملوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، قد عرفكم نفسه، وبعث إليكم رسوله، وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحججه وأمثاله، فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: (لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ \* لَنَا اللَّهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) <sup>(٣)</sup>، فهذه حجة عليكم، فاتقوا الله ما استطعتم، فإنه لا قوة إلا بالله ولا تكلان إلا عليه، وصلى الله على محمد نبيه وآله).

٧ . (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، لأن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والمدبر وساداً، والماء طيباً، وقرضوا المعاش من الدنيا تقريضاً، اعلموا أنه من اشتاق إلى الجنة

(١) المؤمنون (٢٣) : ٩٩ و ١٠٠ .

(٢) ابراهيم (١٤) : ١٤ .

(٣) البلد (٩٠) : ١٠ . ٨ .

سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار؛ رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها، وإنَّ لله عزَّ وجلَّ لعباداً قلوبهم معلقة بالآخرة وثوابها وهم كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين منعمين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصاقون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، وهم يجأرون إلى ربهم<sup>(١)</sup>، يسعون في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلمااء علماء بررة أتقياء، كأنهم القِداح<sup>(٢)</sup> قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها.

ومن غرر كلماته ﷺ<sup>(٣)</sup>:

(الخير كله صيانة الإنسان نفسه).

(الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين).

(من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا).

(من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس).

(لا يقلّ عمل مع تقوى، وكيف يقلّ ما يتقبّل)؟

قيل له: من أعظم الناس خطراً؟<sup>(٤)</sup> فقال ﷺ: (من لم ير الدنيا خطراً لنفسه).

وقال بحضرتة رجل: اللهم أغني عن خلقك، فقال ﷺ: (ليس هكذا، إنما

(١) يجأرون إلى ربهم: يتضرعون إليه تعالى .

(٢) القِداح: مفردا قِدحٌ وهو السهم قبل أن يُنصل ويُراش .

(٣) كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول ٢٠٠ . ٢٠٥ .

(٤) خطراً: قدراً وشرفاً .

الناس بالناس، ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك).

(أتقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، في كلِّ جدِّ وهزل، فإنَّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير).

(كفى بنصر الله لك أن ترى عدوَّ يعمل بمعاصي الله فيك).

وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال عائلاً: (الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع،

وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنَّ الزهد في آية من

كتاب الله: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) <sup>(١)</sup>.

(طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلة طلب

الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر).

(إنَّ أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنَّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنَّ أنجكم من

عذاب الله أشدكم خشية لله، وإنَّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنَّ أرضاكم عند الله أسبغكم <sup>(٢)</sup> على عياله،

وإنَّ أكرمكم على الله أتقاكم).

(يابني، أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، إياك ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة

السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق، فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك

ومصاحبة البخيل، فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعلك

فيضرك، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله).

(إنَّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرآته، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه).

(١) الحديد (٥٧): ٢٣ .

(٢) أسبغكم: أوسعكم .

(ابن آدم ، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعراً، والحدرك لك دثاراً<sup>(١)</sup>)، ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جواباً).

(لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى، ولا عمل إلا بنية، ولا عبادة إلا بالتفقه، ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله).

(المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدخر له، وإمّا أن يعجل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه).  
(إن المناقق ينهى ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع رضى، وإذا سجد نقر، يمسي وهمّ العشاء ولم يصم، ويصبح وهمّ النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياءً، إن رُكي خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله).

(كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه؟).

(ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يصلّى بها نار جهنم).

(إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتدأؤه إيّاهم بالسلام).

(ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس واغتيالهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول بكائه على خطيئته).

(نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للموّهّ والمحبة له عبادة).

---

(١) الدثار: ما يتغطّى به النائم .

(ثلاث من كن فيه من المؤمنين كان في كنف الله<sup>(١)</sup>، وأظله الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فرع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يُقدّم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنه في طاعة الله قدّمها أو في معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيه لنفسه عن عيوب الناس).

(ما من شيء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما [من] شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل).  
(افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره).  
(مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المرورة، وإرشاد المستشار قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً).

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا قرأ الآية: (يَا تَعَبُّدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصِبُوهَا) <sup>(٢)</sup> يقول: (سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلاّ المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّ وجلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيماناً، علماً منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك).  
(سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً).

(١) في كنف الله: في حرزه ورحمته.

(٢) إبراهيم (١٤) : ٣٤ .

## الفصل الثاني: رسالة الحقوق

تكفّلت رسالة الحقوق بتنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرفق والازدهار. (لقد نظر الإمام الحكيم عليه السلام بعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعه وحكومته ومعلّمه)<sup>(١)</sup> وكل من يرتبط به أدنى ارتباط. ويمكن أن نقول: إن تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة، فإن الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

إن العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقّق ما لم يُطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أولاً، وتنظّم الأحكام والتشريعات على أساس تلك

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٤٧٧ .

الحقوق، وفيما نعلم أنّ الإمام عليّاً قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع. وقد كتب الإمام زين العابدين عليّاً هذه الرسالة العظيمة وتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي تلميذ الإمام عليّاً كما رواها عنه بسنده المحقق الصدوق في كتابه (الخصال) وثقة الإسلام الكليني في (الكافي) والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّبي في (تحف العقول) وهي من المصادر القديمة الموثوقة. والإمام عليّاً قبل بيانه للحقوق يشير إلى أن هناك حقوقاً محيطةً بالإنسان، ولا بد له من معرفتها، ثمّ يبيّن أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثمّ يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الإلهي، ثمّ ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قيادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمة والمأمورين ودرجاتهم، ثمّ يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأسرة وأعضائها، ثمّ من تشتمل عليه الأسرة من الموالى والجواري، ثمّ سائر ذوي الحقوق كالمؤدّن والإمام في الصلاة والجلس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير.. حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية وفي النظام السياسي الذي يخضع له وإن لم يكن من أهل ملّته ودينه.

وفيما يلي نص الرسالة كما وردت في الخصال<sup>(١)</sup> :

عرض إجمالي للحقوق :

(اعلم، أن الله عزَّ وجلَّ عليك حقوقاً محيطاً بك في كلِّ حركة تحرَّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرَّفت فيها، فأكبر حقوق الله تبارك وتعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقِّه الذي هو أصل الحقوق، ثمَّ ما أوجب الله عزَّ وجلَّ عليك لنفسك من قرئك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزَّ وجلَّ للسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، ولبيدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثمَّ جعل عزَّ وجلَّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثمَّ حقوق رعيتك، ثمَّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة، أوجبها عليك حقَّ سائسك بالسلطان، ثمَّ حقَّ سائسك بالعلم، ثمَّ حقَّ سائسك بالملك، وكلَّ سائس إمام. وحقوق رعيتك ثلاثة، أوجبها عليك حقَّ رعيتك بالسلطان، ثمَّ حقَّ رعيتك بالعلم، فإنَّ الجاهل رعية العالم، ثمَّ حقَّ رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان، وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في

---

(١) الخصال : ٥٦٤ ط. مؤسسة النشر الإسلامي .

القربة، وأوجبه عليك حق أمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجارية نعمته عليك<sup>(١)</sup>، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذنتك لصلاتك، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليستك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه؟ ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستصحبك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمد أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عليك، ثم حق أهل ذمتك، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفقه لذلك وسدده.

تفصيل الحقوق :

حق الله:

فأما حق الله الأكبر عليك: فإن تعبه لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفك أمر الدنيا والآخرة.

حق النفس:

وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.

(١) والظاهر تصحيحه، والصواب كما سيأتي في تفصيله عَلَيْهِ هذه الحقوق (حق مولاك الجارية نعمته عليه).

## حقوق الأعضاء:

- ١ . وحق اللسان : إكرامه عن الخنى، وتعويدته على الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم.
  - ٢ . وحق السمع : تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه.
  - ٣ . وحق البصر : أن تغضّه عمّا لا يحل لك وتعتبر بالنظر به.
  - ٤ . وحق يدك : أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك.
  - ٥ . وحق رجلك : أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار.
  - ٦ . وحق بطنك : أن لا تجعله وعاء للحرام، ولا تزيد على الشبع.
  - ٧ . وحق فرجك : أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنظر إليه.
- حقوق الأفعال:
- ١ . وحق الصلاة : أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّ وجلّ وأنت فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضعّ المعظمّ لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.
  - ٢ . وحق الحج : أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.
  - ٣ . وحق الصوم : أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.
  - ٤ . وحق الصدقة : أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّ وجلّ، ووديعتك التي لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيةً، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.
  - ٥ . وحق الهدى : أن تريد به وجه الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلاّ التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمة:

١ . وحق السلطان : أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتل فيك بما جعله الله عزَّ وجلَّ له عليك من السلطان، وأنَّ عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقى بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢ . وحق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه الله جلَّ اسمه لا للناس.

٣ . وأما حق سائسك بالملك : فإن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزَّ وجلَّ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.  
حقوق الرعية:

١ . وأما حق رعيتك بالسلطان : فإن تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزَّ وجلَّ على ما آتاك من القوَّة عليهم.

٢ . وأما حق رعيتك بالعلم : فإن تعلم أن الله عزوجل إنَّما جعلك قيماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تفجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يسلبك العلم وبهائه، ويسقط من القلوب محلَّك.

٣ . وأما حق الزوجة: فإن تعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أنَّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها، لأنها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جهلت غفوت عنها.

٤ . وأما حق مملوكك : فإن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ كفاك ذلك، ثمَّ سخَّره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم تعدب خلق الله عزَّ وجلَّ، ولا قوَّة إلا بالله.

حقوق الرحم:

١ . وحق أمك : أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووفّقتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووفّقتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله تعالى وتوفيقه.

٢ . وأما حق أهلك : فإن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله.

٣ . وأما حق ولدك : فإن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

٤ . وأما حق أخيك : فإن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوتك، فلا تتخذة سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلا بالله.

٥ . وأما حق مولاك المنعم عليك : فإن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملكك نفسك، وفرغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك وموتك، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلا بالله.

٦ . وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه : فإن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعل عتقك له وسيلةً إليه، وحجاباً لك من النار، وأنّ ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنة. حقوق عامة الناس والأشياء:

١ . وأما حق ذي المعروف عليك : فإن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

٢ . وأما حق المؤدّن : أن تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّ وجلّ، وداع لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.

٣ . وأما حق إمامك في صلاتك : فأنت تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عز وجل، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عز وجل، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته فتشكر له على قدر ذلك.

٤ . وأما حق جليستك : فأنت تلين له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيراً.

٥ . وأما حق جارك : فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرتَه إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحتك فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عن شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرَةً كريمةً، ولا قوّة إلا بالله.

٦ . وأما حق الصاحب : فأنت تصحبه بالفضل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمةً، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلا بالله.

٧ . وأما حق الشريك : فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإن يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوّة إلا بالله.

٨ . وأما حق مالك : فأنت لا تأخذه إلا من حله، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك، فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلا بالله.

٩ . وأما حق غريمك الذي يطالبك : فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً لرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رمّ لطيفاً.

١٠ . وحق الخليط : أن لا تغره، ولا تغشه ولا تخدعه، وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره.

١١ . وحق الخصم المدعي عليك : فإن كان ما يدعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربك في أمره، ولا قوّة إلا بالله.

١٢ . وحق خصمك الذي تدعي عليه : إن كنت محقاً في دعوتك أجملت مقاولته ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتقيت الله عز وجل وتبت إليه وتركت الدعوى.

- ١٣ . وحق المستشار : إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.
- ١٤ . وحق المشير عليك : أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ.
- ١٥ . وحق المستنصح : أن تؤيّد إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.
- ١٦ . وحق الناصح : أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعباً بشيء من أمره على حال، ولا قوّة إلا بالله.
- ١٧ . وحق الكبير : توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته.
- ١٨ . وحق الصغير : رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له.
- ١٩ . وحق السائل : إعطاؤه على قدر حاجته.
- ٢٠ . وحق المسؤول : إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.
- ٢١ . وحق من سهرّ الله تعالى ذكره : أن تحمد الله عزّ وجلّ أولاً ثم تشكره.
- ٢٢ . وحق من أساءك : أن تغفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضّرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى:
- (وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) <sup>(١)</sup>.
- ٢٣ . وحق أهل ملّتك : إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئتهم، وتألفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك.
- ٢٤ . وحق أهل الذمّة : أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجلّ بعهدده.

(١) الشورى (٤٢) : ٤١ .

وقد تصيد " جملة من العلماء<sup>(١)</sup> والقانونيين لشرح هذه الرسالة الفريدة وبشتى اللغات وعلى مختلف المستويات، وإن شئت التفصيل والاستضاءة بأنوارها. أكثر مما مر. فراجعها .

### الفصل الثالث: في رحاب الصحيفة السجادية

لقد خطّط القرآن الكريم لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الأولى تبشّر بحركة كبرى في عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحي الرّباني بالأمر بالقراءة أمراً مؤكداً والإشارة بنعمة التعليم الإلهي والاهتمام بظاهرتي القلم والكتابة في التعليم وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطوّر العلوم.

والرسول الأمين وإن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة المتعارفة ولكنّه قد حث على طلب العلم ونشره وتدوينه بإلهام إلهي، وبالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول ﷺ أصدر قراراً بمنع تدوين حديث الرسول ﷺ وبذلك وجّه ضربة كبيرة للثقافة الإسلامية المتمثلة في أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت بعد أن خلّفت مضاعفات كبيرة لا زال العالم الإسلامي والإنساني يدفع ضريبتها حتى يومنا هذا بعد أن لمسوا تلك المضاعفات الكبرى التي تربّبت على مثل هذا القرار.

وأما الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا قد أدركوا في وقت مبكّر مضاعفات منع التدوين والنكسة التي سوف يصاب بها العالم الإسلامي بل الإنساني، فبادروا إلى التدوين وشجّعوا أصحابهم على عملية التدوين

بالرغم من أنّه كان ذلك يشكّل تحدياً للسلطات آنذاك، لأنّ حفظ الشريعة والدفاع عنها يعد من أعظم الأهداف التي جعل الأئمة المعصومون حُرّسا لها أمناء عليها.

فالأئمة الأطهار عليهم السلام هم الرواد الأوائل الذين خطّطوا لمسيرة الأمة الثقافية، وفجّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدي الكتاب الحكيم وتعاليم الرسول العظيم، ولم يقتصر النشاط الثقافي للأئمة عليهم السلام على جانب خاص، وإنما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة .

(١) منهم العلامة السيد حسن القبانجي فقد شرحها في جزئين كبيرين باسم : شرح رسالة الحقوق.

فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو رائد هذه النهضة العلمية والفتاح لأبواب العلوم العقلية والنقلية والمؤسس لأصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألّف السيّد حسن الصدر كتابه (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) فأثبت فيه تاريخياً صحة هذه الدعوى .  
وممن اعترف بذلك الأستاذ عباس محمود العقّاد في كتابه (عبقريّة الإمام علي) قائلاً : إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فتح أبواب اثنين وثلاثين علماً ، فوضع قواعدها وأسس أصولها .  
وقال العلامة ابن شهر آشوب في كتابه (معالم العلماء) : الصحيح أن أوّ من صنّف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ الأصمغ بن نباتة ثمّ عبيد الله بن أبي رافع ، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة .

فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامي ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب في الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ (إنجيل أهل البيت) و(زبور آل محمد)<sup>(١)</sup>.  
مميزات الصحيفة السجّادية :

١ . إنّها تمثّل التجردّ التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذي هو أتمن ما في الحياة.

٢ . إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمام عليه السلام بالله تعالى وعميق إيمانه به .

٣ . امتازت الصحيفة السجّادية على سائر أدعية المعصومين عليهم السلام بتكرار الصلاة على محمّد وآل محمد لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية أنشئت في أعقاب واقعة كربلاء التي كان منشؤها يزيد الذي كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو أمية يسعون في إطفاء النور المحمّدي صلّى الله عليه وآله .

والأرجح ان الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام وترسيخها في النفوس في مواجهة المساعي الأموية الهلّامة.

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٣٧٣ . ٣٧٤ .

- ٤ . فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة.
- ٥ . كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهماً يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله ﷺ: (إلهي إن كنت لا تغفر إلا لأولائك وأهل طاعتك فألى من يفرع المذنبون ؟ ! وإن كنت لا تكفر إلا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون ؟ !).
- وهكذا قوله: (إلهي إني امرؤ حقير وخطري يسير وليس عذابي ممّا يزيد في ملكك مثقال ذرّ...).
- ٦ . تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمّة لتربية الإنسان، ورسمت له أصول الفضائل النفسية والكمالات المعنويّة.
- ٧ . احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره . وقد أشرنا إلى بعض منها<sup>(١)</sup>.
- ٨ . كما تصدّّ الصحيفة لمواجهة الفساد الفردي والاجتماعي والسياسي في عصر أشاعت فيه السياسة الأموية الفساد الأخلاقي والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظروف التي اتّبع فيها الأمويون سياسة القمع والإرهاب.
- ٩ . والصحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة والفصاحة ونبوع ثر للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا تفترق عن (نهج البلاغة) في هذا المضمار.
- ١٠ . وقد ضمّن الإمام زين العابدين ﷺ أدعيته . التي تمثّلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه وجمّعت مؤخّراً في ما سُمّي بـ (الصحيفة الجامعة) . منهاجا كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة ، ولم يترك الإمام جانباً ممّا تحتاجه الأمة الإسلامية إلّا وتعرّض له وعالجه بأسلوبه الفدّ وبلاغته البديعة .
- الدور التاريخي للصحيفة السجادية :
- قلنا: إن المسلمين في عصر الإمام زين العابدين ﷺ واجهوا (خطرين كبيرين خارج النطاق السياسي والعسكري، وكان لا بدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف في وجههما :
- أحدهما : الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة

(١) راجع فصل: من علوم الإمام ﷺ ، حقائق علمية في الأدعية السجادية.

وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجاً، وكان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنة، وكان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير والممارس الذكي الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيد في كل ما يستجد له من حالات.

كان لا بدّ إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ...

وأما الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلاً، وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ليتضح الحال.

وقد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي وذهنية ربّانية تتفتّح عن أروع المعاني وأدقّها في تصوير صلة الإنسان برّبّه ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده وتحسيد ما يعبر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات.

أقول: قد استطاع الإمام علي بن الحسين بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جمّ روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشدّ حجر الجماعة على بطنه.

وهكذا نعرف أن الصحيفة السجادية تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجة كلّما ازداد الشيطان إغراءً والدينيا فتنة<sup>(١)</sup>.

سند الصحيفة السجادية :

ينتهي سند الصحيفة إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وإلى أخيه الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، وقد ذكرت سلسلة السند في مقدمة الصحيفة، وحظي هذا السند بالتواتر، وما زال العلماء يتلقونها موصولة الإسناد بالإسناد.

قال السيّد محسن الأمين العاملي: (وبلاغة ألفاظها . أي الصحيفة . وفصاحتها التي لا تبارى وعلو مضامينها وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك

---

(١) نقلا عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجادية الكاملة .

المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهراً لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيد المتصلة إلى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتصلة إلى زين العابدين عليه السلام وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثم انتقلت إلى أولاده، وإلى أولاد عبد الله بن الحسن المثنى، كما هو مذكور في أولها، مضافاً إلى ما كان عند الباقر عليه السلام من نسختها، وقد اعتنى بها عامّة الناس فضلاً عن العلماء اعتناءً بروايتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل والنهار والعشي والإبكار<sup>(١)</sup>.

شروح الصحيفة السجادية :

عكف العلماء على دراسة الصحيفة السجادية وشرحها وإيضاح مقاصدها، وقد ألفت في ذلك مجموعة من الكتب القيّمة ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته المعروفة بـ (الذريعة إلى تصانيف الشيعة). وقد أحصى ستّة وستين شرحاً لها.

وصف الصحيفة بـ (الكاملة) :

١ . ذكروا أن سبب تسمية هذه الصحيفة بـ (الكاملة) هو أن لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، ولذلك عرفت هذه الصحيفة بالكاملة<sup>(٢)</sup>.

٢ . وذهب البعض إلى أن السبب في إطلاق هذه الصفة على الصحيفة

---

(١) حياة الإمام زين العابدين : ٣٧٥ ، وراجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجادية المطبوعة في مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد الأبطحي .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١٩٠ .

هو كونها تمثل مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى في أغلب الموارد وحول أغلب المتطلبات<sup>(١)</sup>.

الصحيفة السجادية الجامعة :

قال جامعها: ويستفاد من ديباجة نسخ الصحيفة السجادية المتداولة أن عدد أدعيها (٧٥) دعاء إلا أن عدد الأدعية الموجودة فيها الآن برواية محمد ابن أحمد المطهري هي (٥٤) دعاء. وقد ألفت صحائف أخرى جمعت أدعيته عليه السلام وذكر في بعضها تلك الأدعية الساقطة . ثم ذكر خمس صحائف أخرى ، ومن هنا بادرت مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إلى جمع أدعيته وتنظيمها بالشكل الذي حافظ على سلامة ترتيب الأدعية الموجودة في الصحيفة الكاملة المتداولة. قال : ولما كانت الصحيفة الكاملة تعد من المتواترات لاختصاصها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر لذلك جمعت بعض أسانيد وإجازاتها المتكثرة، ورُتبت شجرة للأسانيد على غرار شجرة الأنساب مع ترجمة أكثر رواة السند المتداول للصحيفة الكاملة، وعمل لها مجموعة من الفهارس الفنية اللازمة فازدانت بها جمالاً وكمالاً. وللتحقق مما قلناه من أنّها (مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى) يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة إلى الخطوط العريضة على الفهرس الموضوعي لهذه الصحيفة الجامعة<sup>(٢)</sup>.

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام السيد جعفر شهيدي : ١٩١ .

(٢) راجع مقدمة الصحيفة السجادية الجامعة.

## الموضوعات العامّة للصحيفة الجامعة :

- ١ . أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّحْمِيدِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّمَجِيدِ ، وَفِيهَا (٨) أَدْعِيَةٌ .
- ٢ . أدعيته فِي الصَّلَوَاتِ ، وَهِيَ (١٤) دَعَاءٌ .
- ٣ . دَعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ وَخَاصَّتَهُ .
- ٤ . أدعيته فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ ، وَفِيهَا (٨) أَدْعِيَةٌ .
- ٥ . أدعيته فِي المَهَمَّاتِ وَالكِرْبَاتِ وَالمَسَاعِدِ ، وَفِيهَا (٦) أَدْعِيَةٌ .
- ٦ . أدعيته فِي الاعْتِرَافِ وَالمَسْتَغْفَرِ ، وَفِيهَا (٩) أَدْعِيَةٌ .
- ٧ . أدعيته فِي طَلْبِ الحَوَائِجِ وَقَضَائِهَا ، وَفِيهَا (٥) أَدْعِيَةٌ .
- ٨ . أدعيته إِذَا اعْتُدِيَ عَلَيْهِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ٩ . أدعيته فِي الأَمْرَاضِ وَالمَبْلَايَا ، وَفِيهَا (٣) أَدْعِيَةٌ .
- ١٠ . دَعَاؤُهُ فِي المَسْتَقَالَةِ .
- ١١ . دَعَاؤُهُ فِي المَسَاعِدِ مِنَ الشَّيْطَانِ .
- ١٢ . أدعيته فِي الخُذْرِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ١٣ . أدعيته فِي المَسْتَسْقَاءِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ١٤ . أدعيته فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ١٥ . أدعيته فِي الحُزَنِ وَالمَشَدَّةِ ، وَفِيهَا (٤) أَدْعِيَةٌ .
- ١٦ . أدعيته فِي العَافِيَةِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ١٧ . أدعيته فِيمَنْ دَعَا لَهُمْ ، وَهُمْ : الأَبْوَانُ وَالمَوْلَدُ وَالمَجِيرَانُ وَالأَوْلِيَاءُ وَأَهْلُ الثَّغُورِ وَجَمَلَةٌ مِنَ الأَشْخَاصِ .
- ١٨ . أدعيته فِيمَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ .
- ١٩ . أدعيته فِي الفِرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ٢٠ . أدعيته فِي الرِّزْقِ وَقَضَاءِ الدِّينِ ، وَفِيهَا (٤) أَدْعِيَةٌ .
- ٢١ . أدعيته فِي التَّوْبَةِ ، وَفِيهَا دَعَاءَانِ .
- ٢٢ . أدعيته فِي التَّهَجُّدِ ، وَفِيهَا (١٥) دَعَاءٌ .

- ٢٣ . أدعيته في الاستخارة ، وفيها (٣) أدعية .
- ٢٤ . دعاؤه في الابتلاء .
- ٢٥ . دعاؤه في الرضا .
- ٢٦ . دعاؤه عند النظر إلى آيات الله .
- ٢٧ . دعاؤه عند رؤية الهلال .
- ٢٨ . أدعيته في الشكر ، وفيها دعاءان .
- ٢٩ . أدعيته في الاعتذار من التبعات ، وفيها دعاءان .
- ٣٠ . أدعيته في طلب الرحمة وذكر الموت ، وفيها (٧) أدعية .
- ٣١ . دعاؤه في طلب الستر والوقاية .
- ٣٢ . دعاؤه عند ختم القرآن .
- ٣٣ . أدعيته في الأشهر الثلاثة ، وفيها (٣٤) دعاء .
- ٣٤ . أدعيته في الأيام المباركة ، وفيها (٨) أدعية .
- ٣٥ . دعاؤه في الملتمزم .
- ٣٦ . أدعيته لدفع الأعداء ، وفيها (١٠) أدعية .
- ٣٧ . أدعيته في الاحتجاب والرهبنة ، وفيها دعاءان .
- ٣٨ . أدعيته في التضرع والتذلل ، وفيها (٨) أدعية .
- ٣٩ . أدعيته لكشف الهموم ودفع المصائب والاحتراز ، وفيها (١١) دعاء .
- ٤٠ . أدعيته في المناجاة ، وفيها (٣٩) دعاء .
- ٤١ . أدعيته في الاستجابة والقنوت ، وفيها (٣) أدعية .
- ٤٢ . أدعيته في السجود ، وفيها (١٠) أدعية .
- ٤٣ . أدعيته في الأيام ، وفيها (٣٦) دعاء .
- ٤٤ . أدعيته في الزيارات ، وفيها دعاءان .
- ٤٥ . أدعيته في مطالب الدنيا والآخرة ، وفيها (٣) أدعية .
- ٤٦ . أدعيته عند الطعام ، وفيها (٣) أدعية .

- ٤٧ . أدعيته في صدر الموعظة وآخرها ، وفيها دعاءان .
- ٤٨ . أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنورة .
- ٤٩ . دعاؤه عند محاكمته محمد بن الحنفية إلى الحجر الأسود .
- ٥٠ . دعاؤه الذي فيه الاسم الأعظم .

### الفصل الرابع: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام

إن حالة الجمود الفكري والركود العلمي التي أصابت الأمة الإسلامية بسبب سيطرة بني أمية على الحكم كانت تستدعي حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين كي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبما كان يثيره في خطبه في صلوات الجمعة أسبوعياً.

أخذ الإمام عليه السلام يحلّق بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض عليهم من علوم آباءه الطاهرين ويمرّن النابحين منهم على التفقه والاستنباط.

وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية<sup>(١)</sup>.

ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام عليه السلام من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً ، فهو بالإضافة إلى

(١) راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجادية .

تفرّغه للتعليم . بالرغم من جميع الموم والآلام التي تركتها له واقعة الطف الأليمة وما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي . نجده يشيد بفضل العلم ويحثّ المستعدين للتعلّم حتّى أكيداً قولاً وعملاً، وتكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، ويبيّن حقوق المعلّم والمتعلّم، ويرغبهما في تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلّم والتعليم، بحيث استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من طلاب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أن قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلّم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذي أوجده السلطة بعد غياب الرسول ﷺ ، فلم يكن الخط العام في صالح هذه الحركة الفكرية .

ومع كل هذا نلاحظ احتفاء القرّاء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيراً في غيره من العصور ، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه في حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب : إن القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب<sup>(١)</sup> .

قال عائشة مشيداً بفضل العلم وثوابه وأهميته : (لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال : إن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للإقتداء بهم ، وإنّ أحبّ عبيدي إليّ النقيّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للعلماء القابل عن الحكماء)<sup>(٢)</sup> .

(طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلا على رطب ولا يابس

(١) من مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجادية .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٣٥ .

من الأرض إلا سبّحت له الأرضون السبع<sup>(١)</sup> .

وكان عليّ يكرم طلاب العلوم ويرفع منزلتهم ويرحب بهم قائلاً : (مرحبا بوصيّة رسول الله ﷺ). وكان إذا نظر إلى الشباب وهم يطلبون العلم أدناهم إليه وقال : (مرحبا بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين)<sup>(٢)</sup> .

وقد لاحظنا ما جاء في رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلّمين من التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه والدفاع عنه وستر عيوبه وإظهار مناقبه وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه .

كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم وعدم التجبر بالنسبة للمتعلّمين وحسن الإتقان في فن التعليم وعدم ابتغاء الأجر الماديّ على التعاليم .

كل هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام عليّ لإيجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيار ثقافي يتسنى له أن يقف أمام التيارات المنحرفة والتخطيط الأموي الذي لم يرق له تفتح الوعي الإسلامي عند أبناء المسلمين .

وقد خرجت مدرسة الإمام زين العابدين عليّ كوكبة من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماءهم في العالم الإسلامي، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلميّ في ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور . ونشير فيما يلي إلى الأسماء اللامعة في هذا الصدد:

١ . ٣ . وفي مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر عليّ وأخواه: زيد والحسين ابنا علي بن الحسين بن

علي عليّ .

(١) حياة الإمام زين العابدين عليّ : ٢٣ .

(٢) الدر النظيم : ١٧٣ .

٤ . أبان بن تغلب بن رباح ، أبو سعيد البكري الجريري: كوفيّ المولد والنشأة، وكان ناهياً ومقدماً في كل فن، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتلمذ عند الأئمة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام ، وكان يقول له الإمام الباقر عليه السلام : (اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أحب أن يروى في شيعتي مثلك) وألف أبان في تفسير غريب القرآن وفي فضائل أهل البيت كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمتهم عليهم السلام <sup>(١)</sup> .

٥ . إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمة وفقهه من فقهاءهم، وأدرك الإمام الصادق عليه السلام وروى عنه وعن الإمام الباقر والسجاد أيضاً <sup>(٢)</sup> .

٦ . ثابت بن أبي صفية: وهو أبو حمزة الثمالي، عالم جليل ورع تقيّ، تربى بآداب أهل البيت وحمل علومهم ومعارفهم ، وأجمع المترجمون على وثاقته وأتته كسلمان الفارسي في زمانه، وكانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة لإحاطته بفقهاء أهل البيت عليهم السلام .

٧ . رشيد الهجري: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الأمويون من أجل عقيدته وولائه لأهل البيت عليهم السلام .

٨ . زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، كان يتولّى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان جليل القدر كريم الطبع زكي النفس كثير البر.

٩ . سعيد بن جبير ، أبو محمد مولى بني والبة: كوفي تابعي نزل مكة وهو من أعلام المجاهدين، وكان من أبرز علماء عصره في التفسير والفقهاء وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجاج في شعبان (٩٥ هـ).

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٥٢٢ . ٥٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ٥٢٩ .

١٠ . سعيد بن المسيّب المخزومي : من كبار التابعين، وقال فيه الإمام زين العابدين عليه السلام : إنه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفصحهم في زمانه، وكان يبجل الإمام كثيراً<sup>(١)</sup>

إن هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، على أنّ الإمام عليه السلام كان يربّي الموالي بشكل ليس له نظير، وكلّ من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممّن تربّي على يد الإمام ، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب وما روي عنه فقط ، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عمل تربوي صدر عن الإمام وبقيت آثاره في المجتمع الإسلامي ولو كان متجسّداً في سلوك هؤلاء الموالي وأفكارهم وأبجاعتهم .

---

(١) راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام وتلامذته (حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٥١٧ . ٥٨٧).

## الفهرست

المقدمة .....	٤
الباب الأول: فيه فصول: .....	١٠
الفصل الأول: الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> في سطور .....	١٠
الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	١٤
آراء العلماء والمؤرخين فيه <small>عليه السلام</small> : .....	١٧
الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	٢٠
الحلم : .....	٢٠
السخاء : .....	٢١
تعامله مع الفقراء : .....	٢١
العزّ والإباء : .....	٢٦
الزهد : .....	٢٧
مع مماليكه : .....	٣٣
الباب الثاني: فيه فصول: .....	٣٤
الفصل الأول: نشأة الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	٣٤
الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	٣٨
الفصل الثالث: الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> من الولادة إلى الإمامة .....	٤٠
النص على إمامة زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	٤٤
الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> يوم عاشوراء : .....	٤٥
الباب الثالث: فيه فصول: .....	٤٧
الفصل الأول: الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> من كربلاء إلى المدينة .....	٤٧
سبايا آل البيت <small>عليهم السلام</small> في دمشق : .....	٤٩
الفصل الثاني: الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> في المدينة .....	٥٧
الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> .....	٧٢
الباب الرابع: فيه فصول: .....	٧٤

٧٤.....	الفصل الأوّ: نظرة عامة في مسيرة أهل البيت ؑ الرسالية
٧٩.....	مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية:.....
٨٨.....	الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين ؑ.....
٩١.....	الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين ؑ وجهاده.....
٩٤.....	١ . الجهاد الفكري والعلمي :.....
٩٨.....	٢ . الجهاد الاجتماعي والعملي :.....
١٠٣.....	الفصل الرابع: ظواهر فقّ في حياة الإمام زين العابدين ؑ.....
١٠٥.....	عبادة الإمام :.....
١٣٥.....	الباب الخامس: فيه فصول:.....
١٣٥.....	الفصل الأوّل: من تراث الإمام زين العابدين ؑ.....
١٣٧.....	في رحاب القرآن الكريم :.....
١٥٥.....	أدب الإمام زين العابدين ؑ :.....
١٦٩.....	الفصل الثاني: رسالة الحقوق.....
١٧٣.....	حقوق الأعضاء:.....
١٧٨.....	الفصل الثالث: في رحاب الصحيفة السجادية.....
١٨٥.....	الموضوعات العامة للصحيفة الجامعة :.....
١٨٧.....	الفصل الرابع: مدرسة الإمام زين العابدين ؑ.....